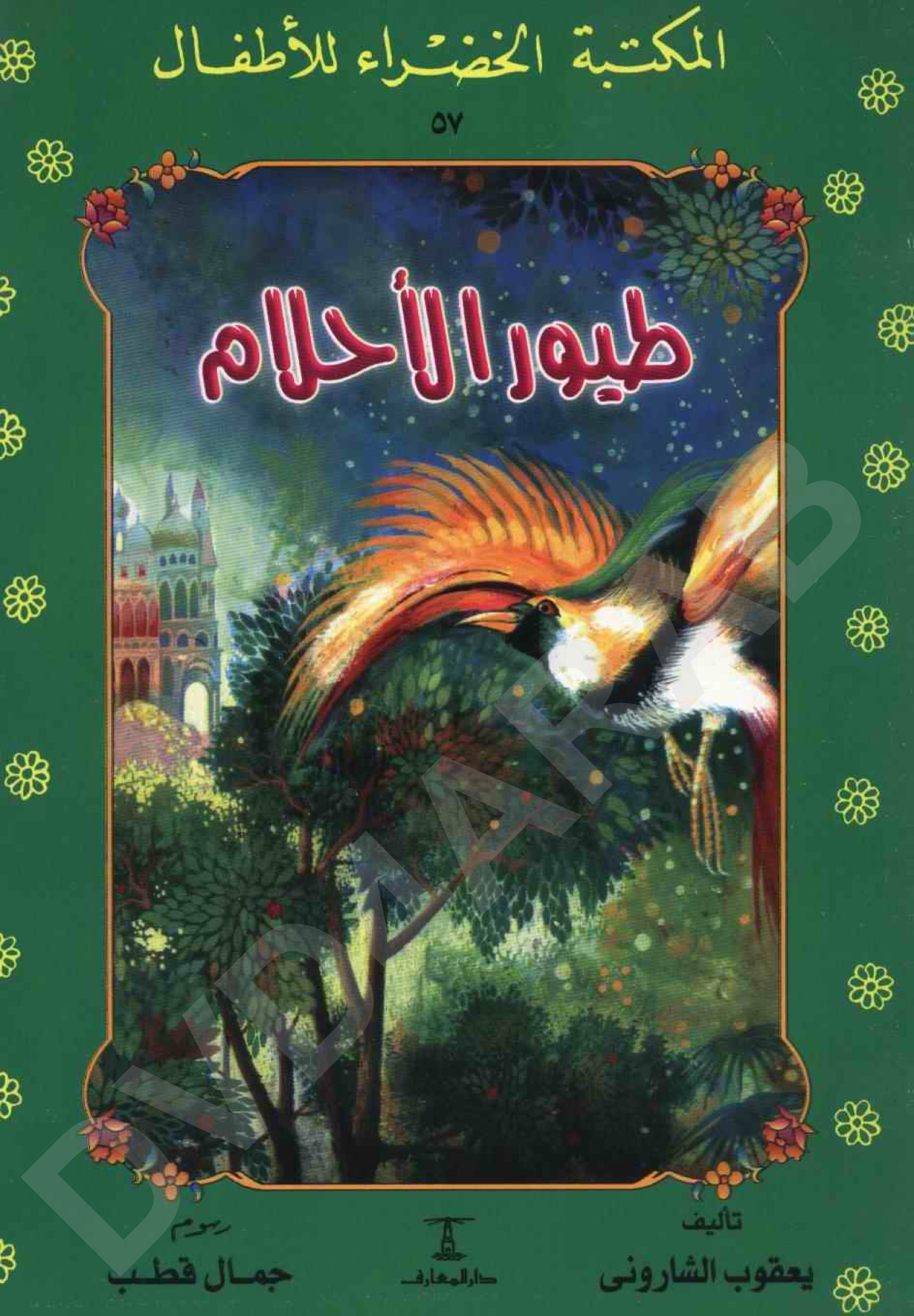


المكتبة الخضراء للأطفال
٥٧
طيور الأحلام
تأليف
يعقوب الشارونى
دار المعارف
رسوم
جمال قطب

المكتبة الخضراء للأطفال



طيور الأحلام



تأليف
يعقوب الشارونى

رسوم
جمال قطب



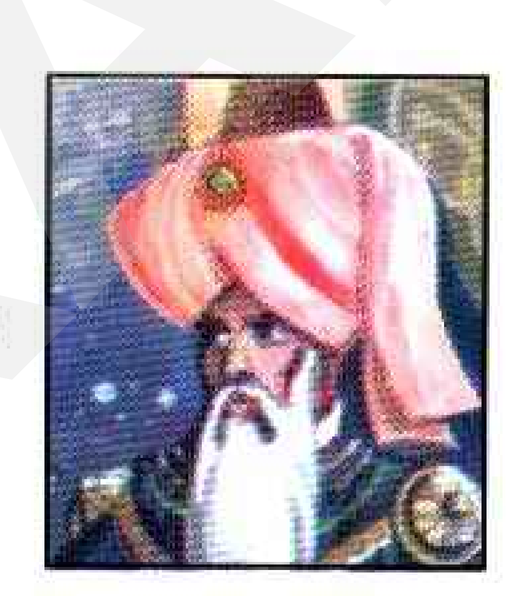
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الشارونى ، يعقوب
طيور الأحلام / تأليف يعقوب الشارونى ؛ رسوم جمال قطب
القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦.
٤٨ ص ، ٢٤ سم — (المكتبة الخضراء للأطفال ، ٥٧)
تدمك : ٦ — ٦٩٧٨ — ٠٢ — ٩٧٧
١ — قصص الأطفال.
(أ) قطب ، جمال (رسام) .
(ب) العنوان
(جـ) السلسلة.

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ١٦٥٥٢ / ٢٠٠٦   ٧/٢٠٠٦/٢٣

شخصيات القصة

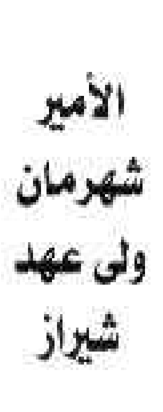


الملك شـاه نعمان ملك شيراز



الأميرة حياة النفوس





الأمير شهرمان ولى عهد شيراز

دادة ريحانة مربية الأميرة



وزير شيراز الحكيم زيدان



مـلك بابـل والـد الأميرة

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج . م . ع
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

١

« لَنْ أقابلَ هَؤلاءِ السُّـفرَاءَ .. قُولُـوا لَهم إنَّنى لا أفكِّرُ فى الزَّواج .. إذا أكْثَـروا مِنْ الإلْحاحِ صَارحُوهُمْ بِالحَقيقَةِ : لَنْ أتزوَّجَ .. هَلْ سمِعْتُم ؟! أنا لَنْ أتزوَّجَ !! »

وتَظاهَرَ سهمان وَزيرُ مملَكةِ بابل بأنَّه لَمْ يسمَعْ ! .. تجمَّدَتْ مَلامِحُ وجهِهِ ووقفَ فِى مكانِهِ لا يتزحزَحُ ..

بالأمـسِ سـألَهُ والدُها « المَلِكُ شـهابُ الدِّين » فى حَـيرَةٍ : ابْنَتِى الوَحيـدةُ ووليَّةُ عَهْدى « حياةُ النُّفـوسِ » جَميلَةٌ وذكيَّةٌ ، لمَاذا ترفُضُ كُلَّ مَـنْ يتقدَّمُ لِخطبَتِها ، حَتَّى إذا كانَ الأميرَ « شـهرمان » ابْنَ مَلِكِ شيراز أغْنَى المَمالكِ المجُاورةِ ؟! » ...

وَلْم يجدِ الوزيرُ سهمان إجابَةً مُقنِعةً عَنْ سُؤالِ مَوْلاهُ !

والوزيرُ يواجِهُ وَحْدَهُ الآنَ غَضَبَ الأميرةِ ! ..

انتظـرَ لَحَظاتٍ لعَـلَّ حياةَ النُّفوسِ تَهْدأ ، وَفِى صَـوْتٍ - جاهَدَ أَنْ يكونَ خاليًا مِنَ الانفِعالِ - عادَ يقولُ لَهَا فِى تأكِيدٍ : « المُستقبلُ أمامَهُ لامِعٌ كَبيرٌ .. ستُصبحينَ يومًا مَلِكةً على بابل وشيراز معًا ! »

صوَّبَتْ عينَيْهَا إلى وَجْهِ الوزيرِ فى تَأنِيبٍ يشوبُهُ شَيْءٌ مِنَ السُّخْرِيةِ : « إذَنْ فَهُـوَ يَسْـعَى إلى ضَمِّ المملكتَيْنِ ؟! .. الرجَـالُ لا يَبْحثُونَ إلاَّ عَنِ السُّلْطةِ أوِ المَجْدِ ! .. هَلْ للزَّوجاتِ مَكَانٌ فِى طُموحَاتِكُم ؟!! »

وقبلَ أَنْ يُجيبَ الوزيرُ عَادَتْ تقولُ : « هَلْ بابلُ العظيمَةُ لا تتَّسِـعُ بِمَـا فيـهِ الكفايَـةُ لأكـونَ سعيـدةً بحُكْمِهَـا يومًا ؟! »

ثُـمَّ أَضافَتْ وهى تَسْتدير مُبتعِدَةً : « قُولُوا لَهُم : عَلى كلِّ واحِدٍ مِنَّا أَنْ يكتفِىَ بمَمْلكتِهِ ! »

وَلَمْ تنتظِرْ لِتسـمَعَ شَيْئًا آخَرَ ، بَلْ أسـرعَتْ تُغادِرُ القاعَةَ الذهبيَّةَ ذاتَ النُّقـوشِ النَّـادرةِ ، التى أعدَّهَا الوزيرُ لِيلتقِـىَ فيهَا والدُهَا مَلِكُ بابل بسُـفراءِ مملكةِ شيراز ، وَاختفَتْ خَلْفَ البابِ المُؤدِّى إلى أَجْنحَةِ القصْـرِ التى تعيشُ فيه حياتَهَـا الخاصَّةَ ، بعدَ وفـاةِ والدتِهَا الملكةِ « فَخْرِ الزمانِ » .

٢

لَمْ يُصدِّق الأميرُ « شهرمان » ما سَمِعَهُ مِنْ كَبيرِ السُّفراءِ ! ..

كانَ كَبيرُ السُّـفرَاءِ قد تَوجَّهَ فَوْرَ عودتِهِ مِنْ مملكةِ بابلَ إلى الجَناحِ الَّذِى يُقيمُ فيه الأميرُ « شهرمان » ولِىُّ العَهْدِ بقصرِ والدِهِ « شاه نعمان » ملكِ شـيراز ، ونقلَ إلى الأميرِ فى كَلِماتٍ قليلةٍ أَخبارَ الرَّفْضِ الحاسِمِ الذى قابَلُوهم به فى بابلَ .

سـأَلَهُ « شـهرمان » فى ضيقٍ ودهشـةٍ : « تقولونَ إنكم عُدْتُم بغَيْرِ مُقابَلةِ الملِكِ ؟! »

وفـى تَعبيرٍ عَنْ عَـدَمِ الرِّضا قالَتْ كبيرةُ الوَصيفـاتِ التى صاحبَتْ جماعَـةَ السُّـفَـرَاءِ : « بَـلْ حَتَّـى أنا لَمْ تَسمحْ لى الأمـيرةُ « حياةُ النُّفوسِ » أَنْ أقابلَهَا !! »

التفتَ إليهـا الأميرُ « شـهرمـان » وقد اندفعَ الدَّمُ حارًّا إلى رأسِهِ ، فأسـرعَ كبيرُ السُّفَراءِ يُحاولُ تهدِئَـتَهُ : « كُلُّ أمَـراءِ الممالكِ المُجاورةِ يؤكِّدونَ أنَّـهم لا يَسْمَعونَ فى قصرِ بابلَ إلا كلمةَ « لا » .

لَكِـنَّ كبيرةَ الوَصيفاتِ أضافَتْ وابتسـامةٌ تتلاعَبُ عَلَى شـفَتيْها : « ومعَ ذلك فَهِىَ أَجْمَلُ الجميلاتِ يا مَوْلاىَ ! ! » .

انقلبَـتْ ملامِحُ الأميرِ من الضِّيـقِ والغَضبِ إلى الدَّهشـةِ البالغَةِ : « تقولينَ إنَّكِ لَمْ تُقابليهَا ؟! » .

اتسعَتِ ابتسـامَةُ الوَصيفةِ : « لكِنَّنى رأيْتُهَا وإنْ كانَتْ لَمْ ترَنى .. سيكونُ يومَ السَّعْدِ لَكَ يا سَيِّدى إذَا وافَقَتْ ! » .

ارتمَـى الأميرُ عَلى مَقْعدِهِ وهو يَهْمِسُ سـاخِطًا : « النظرةُ مِنْ بعيدٍ لا تَكْفِى .. أودُّ معرفةَ شَىْءٍ عَنْ طباعِهَا وعقلِهَا .. خبراتِهَا وحِكْمتِهَا .. هَلْ يُحبُّها أهلُ بَيْتِهَا والعامِلُونَ فِيهِ ؟ » .

التفتَ كبيرُ السُّـفراءِ إلى كَبيرةِ الوَصيفَاتِ يَسْـتنجدُ بِهَا أَنْ تُجيبَ بشَىْءٍ ..

قالَـتْ : « عرفتُ مِنْ مُربِّـيَتِهَا « دادة ريحانة » أنها لا تُغلِقُ بابَها فى وَجْهِ أيةِ فتاةٍ أو سَيِّدةٍ تُريدُ تفسيرًا لِحُلْمٍ ! » .

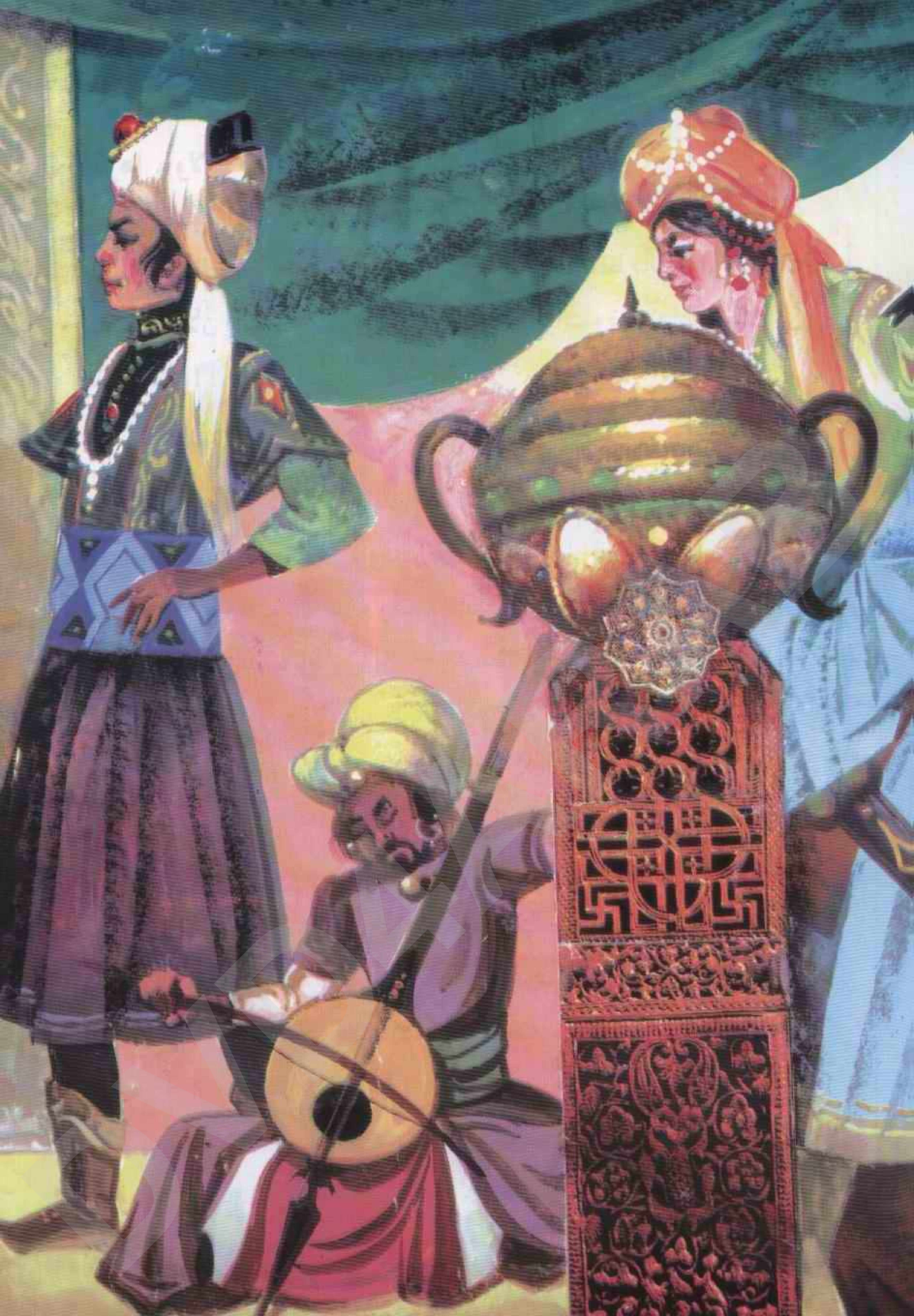
قفـزَ الأميرُ واقفًا وَقَـدْ ملأتْهُ الدَّهْشَـةُ : « هِىَ قادِرَةٌ على تَفْسـيرِ الأَحْلامِ؟!! .. هَذِهِ هِبَةٌ من السَّماءِ لا يستحِقُّها إلاَّ أحكَمُ الحُكَماءِ! » .

أضافَـتْ كبيرةُ الوَصيفاتِ فى تأكيدٍ : « كُـلَّما جـاءَ ذِكْرُها أمامَ أيَّةِ سَـيِّدةٍ مِنْ شعبهَا، تَظهرُ ابتسـامةُ الرِّضا عَلى الوُجوهِ .. هِىَ حَبيبـةُ الأطفـالِ، ومُجفِّفَـةُ دُموعِ الكِبارِ.. قَالُوا لِى ، مَعَ جمالِهَا السَّـاحِرِ ، فهِىَ حازِمَةٌ ، طيِّبَةُ القَلْبِ وكَريمةٌ ... » .

وَلَمْ ينتظرِ الأميرُ « شهرمان » سَماعَ شَىْءٍ آخَرَ ...

لقدِ امْتلأَ عَزْمًا وتَصْميمًا ...





هَمَسَ كأنمـا يَـرَى المُسـتقبَـلَ عِنْـدَ أطْـرافِ أصابعِهِ : « لَنْ أتـزوَّجَ غَيْرَهَا ، ولابُدَّ مِنَ الفوْزِ بمُوافقتِهَا ... » .

وكانَ يـوَدُّ لَوْ أعلَـنَ صَراحةً أنَّ « حيـاةَ النُّفوسِ » قَدْ مـلأَتْ علَيْهِ قلبَـهُ وخيالَـهُ ، لكنَّهُ وجَدَ مِـنَ الحِكْمَةِ أن يحتفِظَ بأسْـرار عواطفِهِ لنفسِـهِ ، لأنَّ إصْرارَهَا عَلى الرَّفْضِ بغَيْرِ مُبرِّراتٍ وضعَ أمامَهُ كثيرًا مِنَ التَّساؤلاتِ ! !

٣

فى دهشَـةٍ شَديدَةٍ نظرَ المَلِكُ « شاه نعمان » مَلِكُ شيراز إلى ابنِهِ ووَلِىِّ عهدِهِ الأميرِ « شـهرمان » وقالَ له فِى احتجَاج : « هَلْ نَسِـيتَ أنَّنى مَريضٌ وقد يحدثُ أىُّ شَىْءٍ وأنت غائِبٌ عن المَمْلَكةِ ؟! » .

بغَيْرِ تردُّدٍ أجابَ « شهرمان » : « صِحَّتُكَ أفضلُ مِنْ صِحَّتِى يا والِدِى ، وعندمَا أعودُ ومعى « الأميرةُ حياةُ النُّفوسِ » سـنملأُ حياتَكَ سَـعادةً ، فيَطولُ عُمْرُكَ وتهربُ منك كلُّ الأمراضِ ! » .

اعـترضَ المَلِكُ : « أنتَ تُقدِّمُ لى فِراءَ الـدُّبِّ قَبْلَ صَيْدِهِ ! ! .. عَرَفْتُ أَنَّهَا لا تطيقُ سماعَ شَىْءٍ عَنِ الزَّواجِ ! » .

فى حَماسٍ قالَ الأميرُ الشـابُّ : « لهَـذا لَـمْ أجِدْ مفرًّا مِـنَ الذَّهابِ إليهَا بنَفْسِى ، مُتَخفِّيًا فى زىِّ تاجرٍ مَعَ تجارَتِهِ » .

صاحَ والِـدُهُ مُؤنِّبًا : « ليسَ مِنْ عادَةِ أبْناءِ المُلوكِ الذَّهابُ بأَنفسِـهم لاسْتِرْضَاءِ زَوْجاتِ المُستقبَلِ ! ! » .

فـى سُرعةٍ أجابَ الأميرُ : « لكنَّها أميرةٌ ليسَتْ كَكُلِّ الأميـراتِ ! ..



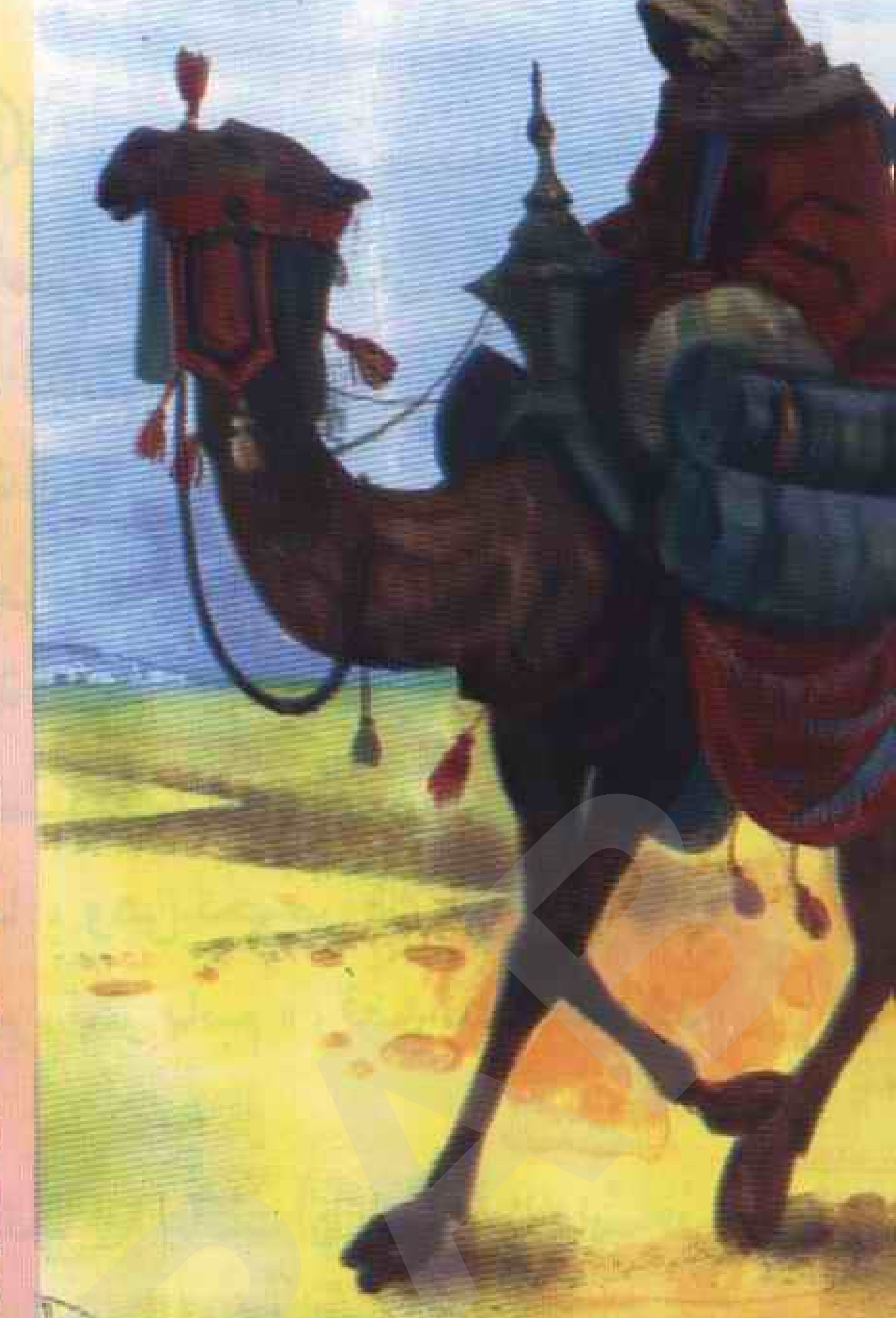


هى تُفسِّرُ الأحلامَ أفضلَ من الحُكَماءِ ! .. لذلكَ سأَصْطحِبُ معى «وزيرَنا زيدان » أحكمَ الحُكَماءِ !

هُنا أدركَ المَلِكُ الشَّيْخُ أنَّ ابنَهُ قد اخْتارَ للسَّفرِ أفْضَلَ صُحبةٍ ، وأنَّه لَنْ يكونَ علَى اسْتِعْدادٍ للتَّوقُفِ أو التَّراجُعِ ، فاضطُرَّ إلى إنْهاءِ الموقِفِ وهو يتنهَّدُ فى أسَفٍ : « هَذَا معناهُ اتِّفاقُكم مِنْ وَراءِ ظَهْرى على كُلِّ شَىْءٍ ! ! ..

اذْهَبْ إذَنْ ولا تحزَنْ إذا عُدْتَ بغَيْرِ حياةِ النُّفوسِ .. وتَذكَّرْ دائمًا أنَّكَ « الأميرُ شهرمان » ابنُ « المَلِكِ شاه نعمان » مَلِكِ بلادِ شيراز العظيمَةِ ! »

٤



فُوجِئَ الحُـرَّاسُ عَلَـى بَوَّابَةِ مَدينَةِ بابـلَ بقافِلَـةٍ لم يُشـاهِدوا مِثْلَ عظمتِهـا مِـنْ قَبْـلُ ، تطلـبُ الدُّخولَ .

وعندمـا عَرفـوا أنهـا للتَّاجِـرِ الشـابِّ « بدر باسـم » القـادِمِ من شـيراز – وهِـىَ الشَّـخصيَّةُ الَتى تَخفَّـى فِيهَـا الأميرُ شـهرمان – رحَّبُـوا به ، وقـادَهُ شَـيْخُ التُّجَّار إلى دَارِ الضيافَـةِ انتظـارًا ليختارَ أحـدَ مَحلاَّتِ التِّجارَةِ الكبيرةِ وسطَ السُّـوقِ ليبيعَ فيهَا ما جاءَ به مِنْ أقمشَـةٍ حَرِيرِيَّةٍ فَاخِرَةٍ اشـتهرَتْ شيراز بصناعتِها .

وكانَ « شـهرمان » قد عَرفَ مِنْ كَبيرةِ وصيفـاتِ قَصْرِ والدِهِ ، أَنَّهَا الأقمشةُ المُفضَّلةُ عِنْدَ الأميرَةِ « حياةِ النُّفوس » .

وزيادةً فى الكِتْمانِ ، حرَصَ ألاَّ يُرافِقَهُ أىُّ واحِدٍ ممَّنْ سـبقَ وجاءوا مع السُّـفَراءِ الذيـن رفضَتْ « حياةُ النُّفوسِ » طلبَهـم ، بَلِ اصطحـبَ معـه الوزيـرَ « زيدان » وَحْـده ، وأطلـقَ عليـه لقبَ « الوكيل نجم الكاشف » إمعانًا فى التَّخَفِّى .

٥

لَمْ يكُنْ غريبًا أَنْ تستقبلَ « الأميرةُ حياةُ النَّفُوسِ » مُربِّيَتَها المَرِحَةَ « دادة ريحانة » بعدَ عودتِهَا مُباشرةً مِنَ السُّوقِ ، فمدينةُ بابل لم تكُفَّ عن الحَديثِ حَوْلَ الأقمشةِ الحريريّةِ النَّفيسَةِ ذاتِ الرُّسومِ الخيَّاليةِ البديعَةِ التى يعرضُها التَّاجرُ الشيرازىُّ الشابُّ ، الذى افتتحَ قبلَ أيام قليلَةٍ أكبرَ مَتجَرٍ فى المدينةِ لبَيْعِ أَفْخَرِ المَنْسوجاتِ .

كانَتْ « ريحانة » تعرِضُ أمام سيِّدَتِها نماذجَ مُتعدِّدَةً من أجملِ الأقمشةِ النَّفيسَةِ التِى أحضرَتْهَا ، وَهِىَ تحرِصُ بشدَّةٍ ألا تُخْبرَ سيِّدَتَها أَنَّ التاجرَ الشابَّ الوسيمَ « بدر باسم » رفضَ بشهامةٍ أَخْذَ ثَمَنِ مَا اختارَتْ مِنْ أَقْمِشَةٍ .

وَقَدْ فعلَتْ ذلك تجنُّبًا لغضَبِ سيِّدتِها إِذَا علمَتْ أن التاجرَ الشابَّ قَدْ عرفَ علاقتَهَا بالأميرةِ !

كانَ «شهرمان» أو « التاجرُ بدر باسم » ، قَدْ حَرَصَ منذُ اليوم الأَوَّلِ لافتتاح مَتجرِهِ عَلى إرسَالِ أَجْملِ المُنادِينَ صوتًا ؛ ليطوفَ حَوْلَ قَصْرِ الملكِ مُنادِيًا تحتَ نوافِذِ الأميرةِ : يُهمُّنا إعجَابُكم وليسَ دنانيرُكم .. هدفُنا مِنَ التجارةِ إسعادُكم .. حريرُ شيراز مِنْ متاجرِ بدر باسم .. يجعلُ الصَّبايا حُوريَّاتٍ والوَجْهَ « باسم » !

وكانَ طبيعِيًّا أن تُرسِلَ الأميرةُ مُربِّيَتَها لتجلبَ لَهَا نماذجَ مِنْ أقمشَةِ « الحوريات » هَذِه ، بعدَ أَنْ أوصتْهَا ألاَّ تُصرِّحَ أبدًا أَنَّ لهَا صلةً بالقصرِ المَلَكِىِّ .

لكـنَّ المُربِّيَـةَ لَمْ تكُنْ تعـرفُ أَنَّ عُيونَ « بدر باسـم » حرصَتْ عَلى رَصْـدِ كُـلِّ خارجٍ مِنْ أبوابِ القَصْرِ ، فكانَ مِن السَّـهْلِ ، قبلَ وُصُولِ « ريحانة » إلى دُكَّانِه ، أَنْ يستعدَّ لاسْتِقبالِ مُربِّيَةِ الأميرةِ !

وَلَـوْ كانَتِ الأَميرةُ قَدْ عرفَتْ أن التاجرَ الشابَّ قَدْ رفضَ أخْذَ ثَمنِ بضَاعتِهِ ، لامتنعَتْ - بحَسْم - عَنْ طَلَبِ أَيَّةِ أقمشَةٍ جديدَةٍ مِنْ متجرِهِ . لكـنْ لأنَّ مُربِّيَتَها أخفَـتْ عنها حَقيقةَ مَا حَدَثَ ، فقدْ أَرْسـلَتْها مَرَّةً أُخْرى فِـى اليَوْمِ التَّالِى لتشترِىَ لَهَا مَزِيدًا مِنَ الأقمشَـةِ الفَاخِرَةِ التى أعجَبَتْها ألوانُهَا ورسُومُهَا .

٦

فـى الزِّيـارةِ الثَّانيَـةِ التى قامَتْ بها « ريحانة « للسـوقِ ، طافَ بِهَـا « بـدر باسـم » بنفسِـهِ كُلَّ رُكْـنٍ مِنْ أركَانِ مَتْجرِهِ ، فانبهرَتْ وأصابَهـا الذُّهـولُ حَتَّى قالَتْ : « لَمْ يسـبقْ أنْ جـاءَ إلى بلادِنَا تاجرٌ يَتَحلَّى بمِثْلِ ذوقِكَ المُتميِّزِ ، أَوْ يمتلكُ كُلَّ هَذَا الثَّراءِ العَظيم ! »

ثُـمَّ أضافَتْ وهـى تتأمَّـلُ مَلامحَ وجْهِ « بدر باسـم » فى محاولَةٍ لتستشِفَّ ما يُخفيهِ : « بَلْ إنَّ حديثَكَ يا سَيِّدى لَيْسَ حَدِيثَ تُجَّار ! »

دهشَ «بـدر بـاسـم» مِنْ هَـذِهِ المُلاحَظَـةِ الذكيَّـةِ التـى أبدَتْها «ريحانة»، فأسْـرَعَ يقولُ: «بضاعَتى لا يشـترِيهَا عادةً إلاَّ فئةٌ خاصَّةٌ مِـنَ الأمَراءِ وأصحابِ الذَّوْقِ الرفيـعِ ، ولعلَّنى لهذَا أختلفُ عَنْ غيْرِى مِنَ التُّجَّار».

قالَـتْ « ريحانــة » كَأنمَا تختـبرُهُ: « واليومَ لابـدَّ أَنْ تقبلَ ثمنَ مَا اشـتريتـهُ مِنْ مَتْجَرِكم ، وإلاَّ منعَتْنـى سيِّدتى الأميرةُ مِنْ تَخطِّى عتبـةِ بابِكُم مَرَّةً أُخْرَى » .

ابتسـمَ « بدر باسـم » وهو يقولُ فى مَرح : « أتمنَّـى لَوْ تُخبرينَها بُوضُـوحٍ أنَّنِى مُصممٌ على إرْسـالِ كُلِّ ما أعجَبَها مِـنْ بَضائعى ، هدية مُتواضعةً لأجْملِ الجمِيلاتِ ! »

صاحَتْ « ريحانة » فى اسْـتِنْكار : « لعلَّكَ لا تعرفُ إذَنْ ما يعرفُهُ عَنْهَا كُلُّ النَّاسِ ! ! .. هى ترفُضُ أىَّ شَىْءٍ يَأْتِى مِنَ الرِّجالِ ! »

ضَحِـكَ « بـدر باسم » : « إذَنْ اقْتَرحى عَلَيْهَا الحُضورَ بنفسِـهَا ؛ لتختارَ ما يُناسِبُها مِنْ رَوائع مَا اخْترتُه لكُم مِنْ أَثْوابٍ .. ! »

وتأمَّلَـتْ « دادة ريحانة » ملامحَ وجهِهِ وهـو يقولُ هَـذا الاقْتراحَ ، وتلاعبَتْ على وجهها ابْتسَـامةٌ ، فقد تمنَّتْ مِنْ أعمَاقِ قلبِهَا أَنْ يكونَ لسيِّدَتِهَا زَوْجٌ فى مِثْلِ شَبابِ « بدر باسم » وروحِهِ المَرِحَةِ ووسَامتِهِ .

٧

عندمَـا نقلَتْ ريحانة اقْتِراحَ « بدر باسـم » إلى سـيِّدتِهَا الأَمِيرةِ ، وَكأنَّهُ اقتراحُهَا هى ؛ لتشَـاهِدَ بنفسِـهَا مَا لَمْ يسبقْ أَنْ رأتْهُ مِنْ أروعِ ألْـوانِ الحرير ، أدْركتِ الأَمِيرةُ أنَّ فِـى الأمْـرِ شيئًا ، فسألَـتْ مُربِّيَتَهَا كأنمَا تستَجْوبُهَا فِى تَحْقيقٍ : « مَنِ الذِى أوْحَى إليكِ بِهَذَا الاقْتراحِ؟ »

ولاحظَـتِ الأميرةُ اضْطِرابَ مُربِّيتِهَا ، فَعَـادَتْ تقولُ فِى تَأنِيبٍ : « أنَـا أعرفُ ألاعيـبَ الرِّجَالِ ، وإذَا كنْتُ قَدْ رفضْـتُ الأمَراءَ وأبْناءَ المُلوكِ ، فَلَنْ أقبلَ التُّجَّارَ وبائعى الحريرِ ! »



دَافعَتِ المُربيةُ عَنْ نفسِهَا : « لكنَّه لاَ يعـرفُ أَنَّ سيِّدَتى هِىَ الأَمِيرةُ ولِيَّةُ العَهْدِ ! » .

قالَـتِ الأميرةُ فِى اتّهام : « لاَ يوجَدُ سِـرٌّ فى مَدينتِنَـا هَـذِه ! .. لَقَدْ عرفْتُ منـذُ قليل أَنْ هَذا التاجِرَ رفَضَ أَخْذَ ثَمنِ مَا اشترَيْتِهِ اليَوْمَ وَأَمسِ .. هَلْ تُخْبرينني لِمَاذَا؟! » .

سَـكتَتِ المُربيــةُ وَقَـدْ فُوجِئَتْ بسـيِّدَتِهَا وقد انكشَـفَ الأمرُ كلُّهُ أَمَامَهَا ! .

عندئـذٍ أضافَتِ الأميرةُ فِي حَزْم : « قُولى لَـهُ أَنْ يكُفَّ فورًا عَنْ أيةِ محاولـةٍ للاقْتراب منّى ، وإلاَّ سـآمُرُ الجُنْدَ بإغْلاقِ مَتْجَرِه وطَرْدِهِ مِنْ مَمْلكتِنَـا ، هَذَا إذَا لم أضطَرَّ أيضًا إلى إصْدارِ الأمرِ بسَـجْنِهِ ، أَوْ حتَّى بقَطْعِ لسانِهِ إذَا لَزِمَ الأمرُ ! » .

٨

فـى اليَـوْم التَّالى ، عندمَا ذَهبَتْ « دادة ريحانــة » إلى مَتْجَرِ « بدر باسم » ، طلبَتْ فى اضْطِرابٍ مقابلتَهُ عَلى انفْرادٍ .

وفـى غُرفــةِ المَتْجَـرِ الخلفِيَّـةِ التـى خصَّصَهَا بدر باسـم لِعَقْدِ الصَّفقَاتِ ، جلسَـتْ ريحانة تقولُ فى قلقٍ : « سَـيِّدتى أسـاءَتْ فَهْمَ رسالتِكَ إلَيْها ! » .

فى جُرْأةٍ قالَ : « بل لعلَّها قد فهمَتْها علَى الوَجْهِ الصَّحيح ! » .

صاحَـتِ المُربيــةُ : « أنصحُـكَ إذَنْ أَنْ تُنهِـىَ فورًا أعمالَـكَ هُنا ، وتذهبَ بتجارتِكَ إلى مدينةٍ لا تُهدِّدُ فيها الأميراتُ بقَطْعِ لسـانِ أَفْضَلِ الشَّبابِ !» .

قالَ « بدر باسـم » فـى قلق : « تصرُّفاتُ أميرتِكم فيها شَـىْءٌ غَيْرُ طبيعِـىٍّ .. هِـىَ لَمْ تَرنى ، وتَرفُضُ كُلَّ مَنْ يتقدَّمونَ إليهـا بغَيْرِ أَنْ تراهُـم .. هَلْ ترفـضُ فِكْرَةَ الزَّواجِ أَصْلاً ولاَ تسـمحُ بمناقشـتِهَا فِى ذَلكَ ؟!» .

وعندما تَأمَّلَ تعبيراتِ خَيْبةِ الأَملِ التى تلاعبَتْ عَلَى وَجْهِ المُربيةِ، تَأكَّدَ مِنْ صِدْقِ اسْتنتاجَاتِه ، فقالَ فى عِتابٍ صادقٍ :

« كيـفَ تقبلينَ ، وأنت مُربِّيتُها المُخلِصَـةُ ، وكأنَّكِ والدتُهَا ، أن تُصمِّمَ مولاتُكِ عَلى هَذا الموقفِ الغَريبِ غَيْرِ المَفهومِ مِنَ الرِّجالِ ؟! .

هَـلْ هُنـاكَ عَيْـبٌ خَفِـىٌّ فِـى تَكْوينِ جسْـمِهَا ، حَريقٌ أو مَرضٌ جِلْدِىٌّ ، تخافُ أن يطَّلِعَ عليهِ أحدٌ ؟! .

هَلْ فى حياتِهَا سِرٌّ تَحْرِصُ عَلَى كتمَانِهِ ؟! .

لابدَّ أَنْ يعرفَ الناسُ حَقيقةَ دوافِعِهَا لِرَفْضِ الـزَّواجِ ، وإلاَّ انتشرَتْ حولَهَا إشـاعَاتٌ تُؤذِى سُمْعتَهَـا كثيرًا ، وتُؤَثِّرُ علـى حَقِّها فِى تولِّى الحُكمِ يومًا وهى الوريثَةُ الوحيدَةُ لِعَرْشِ المملكةِ ! » .

هُنَا لاحَظَ « بدر باسم » دُموعًا تكادُ تترقرقُ فِى عينَىْ « ريحانـة » وَهِىَ تقولُ :

« منذُ وقعَتْ عينى علَيْكَ ، تمنَّيْتُ أن تكونَ أنتَ زَوْجَ الأميرةِ التى اعتبرْتُها – دائمًـا – مِثْـلَ ابنَتِـى ، لذلـكَ دَعْنى أكشفُ لكَ السِّرَّ الَّذى حَرَصَتْ عليه « حَياةُ النُّفـوسِ » طَويـلاً ، لعلَّنا نَسْـتطيعُ معًا مُسـاعدتَها للتغلُّبِ علَى هَذَا السُّلوكِ غَيْـرِ الطَّبيعِـىِّ الـذى تتمسَّكُ به ضِدَّ الرِّجالِ ! » .

٩

لَمْ يكُنْ مِنَ السَّـهلِ علَى « دادة ريحانة » البَدْءُ فى حكايَتِهَا بعد أَنْ كتمَتْها سَنواتٍ ، تنفيذًا لوصِيَّةِ سَيِّدَتِها « الأميرةِ حياةِ النُّفوسِ » .

لقـد شـدَّدَتْ عليها الأميرةُ أَنْ تنسَـى الأمرَ كُلَّـهُ ، فالأحلامُ التى تعتبرُهَـا هى رُؤْيَا تحمِلُ إليهَا نُبوءَةً أو رسـالَةَ تَحْذِيرٍ واضِحَةً ، قد



يتصوَّرُهَـا آخَرونَ مُجرَّدَ ألاعيب أرْواحٍ عَابثـةٍ لا هدفَ لها إلاَّ إقلاقُ راحةِ النَّائم ! ! .

لكنَّ ريحانةَ وَقَدْ وجدَتِ الأمرَ قَدْ تَفاقَمَ مَعَ سـيِّدَتِها وازدادَ تَساؤلُ النَّاسِ حولَهُ ، أخذَتْ تبحثُ عَنْ كَلِماتٍ تُزيحُ بها السِّـرَّ ، وتبدأُ بِهَا الحِكَايَةَ ..

وفى شَـغَفٍ ودَهشـةٍ ، اسـتمعَ « التاجرُ بدر باسـم » أو « الأمير شهرمان » إلى أَعْجَب مَا سَمِعَ فى حَياتِهِ ..

١٠

كانَتِ المَلِكَةُ « فخر الزمان » وَالدةُ « حياة النفوس » لا تُحِبُّ شـيئًا فى الدنيَا مِثْلَ حُبِّها لِلطَّبيعةِ فى أشكالها المُختلفةِ .

لقد أصرَّتْ - رَحِمَها الله - أَنْ تُطِلَّ كُلُّ غُرَفِ أجنِحَةِ القَصْرِ المُخصَّصةِ لَهَا علَى مسـاحَاتٍ مُمتدَّةٍ من الأشـجارِ ، فلا تـرَى إلا اللَّوْنَ الأخْضَرَ بدَرَجاتـهِ المُختلفـةِ ، يهتزُّ مَعَ النَّسـيمِ أَوْ يتمايَلُ مَعَ العاصفَـةِ ، أو تراقِبُ أسْرابَ الطُّيورِ يقودُها أقْوَى الذُّكورِ كأنه رأسُ سَهْم .

ودَفَعها حُبُّها للطَّبيعةِ إلى اخْتِيارِ بقعةٍ سـاحِرَةٍ كأنَّها جَنَّةُ اللهِ فى أرْضِهِ ، أقامَتْ فى وسطِهَا قَصْرًا مِنْ قُصورِ الأحْلام ، تَقْضى فيه أوقاتَها عندمَا يَنْشَغِلُ زَوْجُها « المَلِكُ شهابُ الدِّينِ » بالسَّفَرِ ، أو بقيادةِ الجَيْشِ لِصَدِّ عُدوانٍ ، أو مُعاوَنَةِ بلدٍ مُجاورٍ فِى إِحْدى تِلْكَ الحُروبِ الَّتِى مَا إنْ تنتهِ حَتَّى تَبْدأَ مِنْ جَديدٍ ! ! .

وكانَـتِ المَلِكَـةُ حَريصةً عَلَـى اصْطِحَـابِ ابنتِهَا الأمـيرةِ « حياةِ النُّفوسِ » ، فاكتسـبَتِ الأميرةُ بدَوْرِهَا الافْتِتانَ بِالطَّبيعةِ ، وتشـَّبعَتْ مِنْ والدتِهَا بحُبِّ الحدائقِ واللَّوْنِ الأخْضَرِ .

وكانَ لهـذَا أقْوَى الآثـارِ فى خَيـالِ « الأميرَةِ حَيـاةِ النُّفوسِ » وحياتِهـا ، حَتَّى إنَّهَـا ، بعدَ انْتِقالِ والدتِهـا إلى الرَّفيقِ الأعْلَى ، حرصَـتْ بدَوْرِهـا علَـى قَضـاءِ كَثيـرٍ مِنْ ليـالِى الصَّيْفِ فى قَصْرِ الأحْلام وبَيْنَ أشْجار حديقَتِهِ المُدهِشَـةِ ، الَّتِى كانَتْ آخرَ ما رأتْهُ والدتُهَا قَبْلَ رَحيلِهَا .

١١



ذاتَ ليلَـةٍ وقـد اسْـتَوْلَى النَّـوْمُ العَميـقُ علَـى الأمِـيرةِ فـى ذلـكَ القَصْـرِ الرَّائـعِ ، وجدَتْ نفسَـها قَدْ نزلَتْ إلى الحَديقَةِ تتجوَّلُ فيهَا .

وَكَـمْ كانَتْ دهشـتُها عندما رَأَتْ فِى أَحَـدِ الأركانِ صيَّادًا قَـد نشـرَ فـوْقَ الحشـائشِ شـبكةً لِصَيْـدِ الطُّيور ، نثرَ فوقَهـا حُبـوبَ القَمْح ثم أخْفَـى نفسَـهُ خلـفَ

شـجـرةٍ حَيــثُ جلسَ يُغالِبُ النُّعاسَ انتظـارًا لِلصَّيْدِ ، لكنَّ النَّوْمَ غلبَهُ قبلَ أَنْ تُغرِىَ حُبوبُ الشبكةِ طُيورَ السَّماءِ .

ولَمْ يطُـلِ انْتِظارُ الأميرةِ ، فَقدْ أقبل طائرٌ فى حَجْمِ الحَمامِ ، فخورٌ بذَيْلِهِ الأحمرِ الطَّويلِ والرِّيشةِ الخَضْراءِ اللاَّمِعَةِ فَوْقَ رأسِهِ .. وسَرْعانَ مَا نَزلَ مع أُنثاهُ الوديعَةِ الجَميلَةِ ، لكنَّها مِثْلُ بقِيَّةِ الإناثِ مِنْ نَوْعِهَا بغَيْرِ ذَيْلٍ أحمرَ ولا ريشـةٍ خَضْراءَ ، وتبعَتْهُما جماعةٌ مِنْ نَفْسِ النَّوْعِ قادمةٌ خلفَ قائِدِهَا صَاحبِ الرِّيشةِ اللاَّمعـةِ ، واندفعَتْ كُلُّهـا تلتقِطُ الحُبوبَ فى نشاطٍ .

ومـا هِىَ إلا لحظاتٌ حَتَّى اشـتبكَتْ قَـدَمُ الذَّكرِ القائـدِ فى خُيوطِ الشَّـبكةِ ، فَانْتَفَضَ يتخبَّطُ فِى عُنفٍ أفْزَعَ بقِيَّةَ الطُّيورِ ومعَهَا أُنثاه ، فانطلقَتْ تَطيرُ مُبتعِدَةً فى سُرْعَةٍ واضْطِرابٍ .

لكنَّ دهشَـةَ الأَميرةِ ازدادَتْ عندمَا رأَتِ الأُنْثَى تعودُ وَحْدَها بعدَ لَحَظاتٍ ، ونزلَتْ حتَّى اسـتقرَّتْ بجوارِ خُيوطِ الشَّبكَةِ ، لا تخافُ أن تسقطَ - هى أيضًا - فى الفَخِّ ! !

وَفِى جُرأَةٍ تقدَّمَتْ تنقُرُ الخُيوطَ الَّتِى اشتبكَتْ بِهَا قَدَمُ زَوْجِهَا إلى أَنْ قَرضَتْهَا .. وبفَضْلِ حُبِّهـا وصَبْرِها وشـجاعتِهـا ، اسْتَطـاعَ القائـدُ صاحِـبُ الريشـةِ اللامعةِ أن يتخلَّصَ مـن مَصيرٍ مُفـزِعٍ ، وأن ينطلقَ إلـى الفَضاءِ مع أنثاهُ المُخلِصَةِ ، سَعيدًا بحُرِّيتِهِ .





عندَمـا أفـاقَ الصَّيَّـادُ مِنْ نَوْمِهِ ، ولَمْ يجدْ فى الفخِّ صَيْدًا ، حَرَصَ عَلَى إعادَةِ إخْفاءِ شَـبَكتِهِ جيدًا بكَثيرٍ مِنْ أوراقِ الأشْجَارِ المُتساقطةِ ، قبلَ أَنْ ينثُـرَ فوقَها مَزيدًا مِـنَ الحُبوبِ ، ثُمَّ عـادَ يختبئُ حيثُ غلبَـهُ النَّوْمُ للمرَّةِ الثَّانيةِ .

وعندما لَمْ تُشـاهِدِ الطُّيورُ خُيوطَ الشـبكةِ ، انخدعَتْ بحيلةِ الصيَّـادِ وظَنَّتْهُ انصرفَ مَعَ أدواتِ صَيْدِهِ ، فنزلَتْ مُطمئنَّةً تُعاوِدُ الْتِقَاطَ طعامِهَا .. لكنَّ أُنْثَى القائدِ هى الَّتِى سَـرْعَانَ مَا وقعَتْ هَـذِهِ المرَّةَ فِى الفَـخِّ ، فراحَتْ تتخبَّطُ فى جُنونٍ وَقَـدِ التفَّتِ الخُيوطُ فِى إحْكامٍ حَوْلَ سَـاقِهَا .. وأفزعَـتِ المُفاجَأةُ بقِيَّةَ الطُّيورِ ، فَأسـرعَتْ تبتعِدُ تشـقُّ السَّـماءَ بأجنحتِهَا فِى قُوَّةٍ ، يقودُها القائدُ الفَخورُ الَّذِى كانَتْ أُنثاهُ قَدْ خلَّصَتْهُ منذُ قَليلٍ مِنْ مَصيرٍ مُظلِمٍ بعدَ وُقُوعِهِ فى نَفْسِ الفخِّ .

وانقضَـى وَقْتٌ طَويلٌ والأميرةُ «حيـاةُ النُّفوسِ» تُراقِبُ الطائرَ الأُنثَى تُحاولُ جاهِـدَةً التخلُّصَ مـن الشَّـبكَـةِ ، فلا تزيدُها مُحاولاتُها إلاَّ إرْهاقًا ، إلى أَنْ كفَّتْ فى النِّهايَةِ عَنْ محاولَةِ الخَلاصِ ! ...

وتوقَّعَـتِ الأمـيرةُ عَوْدَةَ القائِدِ قبـلَ أنْ يصحُوَ الصيَّـادُ لِيُنقذَ أُنثاهُ كَمَـا أَنقذَتْهُ ، لكـنَّ الوقتَ الطَّويلَ انْقضَى حَتَّى أفاقَ الصيَّادُ مِنْ نَوْمِهِ ، وأسرعَ نَحْوَ الصَّيْدِ الَّذِى وقعَ فى شبكتِهِ ، فأمسكَ بالأنْثَى وقَدْ أعدَّ لَهَا سِكِّينَهُ الحَادَّة ، وَذبحَهَا !! ..

١٣

أَصـابَ الرُّعْبُ الأَمِيرةَ وتملَّكَهَا الفزَعُ ، فأفاقَتْ مِنْ نَوْمِهَا مرعُوبَةً وَهِـى تُحَـدِّثُ نفسَهـا وتصرخُ والدُّموعُ تملأ عينَيْها :

« الآنَ عرفْـتُ طريقةَ الرِّجَـالِ فى التعامُلِ مَعَ النِّسَـاءِ !! .. هَذِه رُؤيا تحملُ رسالةً يَجبُ أَنْ أتذكَرَها دائمًا ... المرأةُ تُعَرِّضُ حياتَهَا للهَلاكِ بدافعِ الحُـبِّ والإخْلاصِ لِتُنْقذَ رَجُلَها مِنَ المَخاطِرِ وللمحَافظةِ عليهِ مِنَ الهلاكِ ، فَـإِذَا تعرَّضَتْ هى بعدَ ذلكَ إلى مَأْزقٍ أَوْ خَطَـرٍ ، ينجُو الرجلُ بحَياتِهِ وقَدْ تناسَى كُلَّ شَىْءٍ عنهَا ، وضاعَ كُلُّ ما فعلَتْهُ معَهُ مِنْ مَعْروفٍ !! »

وفـى تأكيدٍ أَضَافَتْ : « مَخْدوعة وسَـاذجَة مَنْ تَثِقُ فى الرِّجالِ بَعْدَ اليَوْمِ ! »

١٤

وختمَـتْ « دادة ريحانـة » حكايتَهـا لشـهرمان المُتخفِّى والدُّموعُ تَنْحَدِرُ مِنْ عينَيْهَا :

« مُنـذُ ذلكَ اليَوْم لا تُطيقُ الأميرةُ أَنْ تسـمعَ حديثًـا عَنِ الرِّجالِ ، كَمَا امتنعَتْ عَنِ الذَّهابِ إلى ذلكَ البُستانِ إلاَّ مَرَّةً واحدةً كُلَّ عامٍ فى يَوْمِ



ذِكْرى وفاةِ والدتِهَـا ، فهوَ مَكانٌ أصبَحَ يُذكِّرُهَا دائمًا بالطَّائِرِ المَذْبوح ، كَمَـا ارْتبـطَ بإلحاح مَعَ مَا اسـتقرَّ فـى اعتقادِهَا مِنْ جُحُـودِ الرِّجَالِ وقَسْوتِهم عَلى النِّساءِ ! ! » .

١٥

ظَلَّ « شهرمان » يَستعيدُ مَا رسمَهُ حَديثُ ريحانة أمامَ عينَيْهِ مُتصوَّرٌ فِيهَـا التَّرقُّبُ وفيهَا اليأسُ ، وهُوَ يسـتحْضِرُ فِـى خَيَالِهِ مَوَاقفَ ذلكَ الحُلْمِ الغَريبِ الذِى انتهَى بِتِلْكَ النهايةَ التَّعيسَةَ القاسِيَةَ !

ولاحَـظَ « الوزيـر زيـدان » كيف سَـيْطَرَ القلقُ والهَمُّ علـى مَلامِحِ شهرمان ، فاضطُرَّ أخيرًا أن يسألَهُ :

« ماذَا فَعَلَتْ بك تلكَ العَجوزُ ريحانةُ ؟ » .

وتَردَّدَ شـهرمان ، فقد أوصَتْهُ ريحانة بكِتْمانِ سِـرِّ سيِّدَتِها ، لَكِنَّ الوَزيرَ عادَ يُلِحُّ :

« هَل استمعْتَ إلى شَـيْءٍ يَضَعُ حاجزًا بينَكَ وبينَ الأَميرةِ ؟ .. هَلْ سـبقَ لها الزواجُ سِـرًّا أَوْ أُصيبَتْ بصَدْمَـةٍ لا عِلاجَ لَهَا فِـى علاقَتِها بالرِّجَالِ ؟! » .

هَزَّ الأميرُ رأسَهُ بعُنْفٍ يُنْفِى كُلَّ ذلكَ :

« لا .. لا ... » .

وصمتَ لحظةً ثُمَّ أضافَ ليُزِيحَ عَنْ نفسِهِ عِبْءَ مَا عرفَ :

« لقد رأتْ حُلمًا ! » .

صاحَ الوزيرُ مُستخِفًّا بالأمر :

« ومنـذُ مَتَى كانَتْ أحلامُ النَّوْمِ سببًا فِى توقُّفِ دَورانِ عجلـةِ الحَياةِ الَّتِى لا تقبلُ التوقُّفَ ؟! »

صاحَ الأميرُ :

« تَذكَّـرْ أَنَّهـا خَبـيرةٌ بالأحْـلامِ .. أحـلامُ النَّـوْمِ لَهَـا ، تأثيرٌ عظيمٌ عليهَا ! »

قالَ الوزيرُ الحَكيمُ فى إصْرار : « لابدَّ إذَنْ أَنْ تكشفَ لِى عَنْ تفاصيلِ حُلْمِهَا هَذَا ، لعلَّها أَخْطأتْ فِى التَّفْسيرِ ! »

زفَرَ الأميرُ فـى ضيقٍ كأنّمَا الأمرُ مَفـروغٌ منـه : « التفسـيرُ واضِـحٌ لا يحتاجُ إلى عِلم أو خيَالٍ ! »

اعترضَ الوزيـرُ : « بَلْ كثيـرًا ما تُفَسَّـرُ الأحـلامُ بعَكْسِ مـا نَراهُ فيها ! »

سـكتَ الأميرُ لحظَةً .. لَقَدْ تذكَّرَ أنَّهُ سَمِعَ تلكَ العبـارةَ ذاتَ مرَّةٍ من والدِهِ الملِكِ ! ..

ثُمَّ عَادَ يَسْتعيدُ فِي ذِهنِهِ المواقفَ الأخيرةَ مِـنْ حُلْم الأميرةِ ، وبعدَها اسـتقرَّ رأيُهُ علَـى أنَّ الأمـرَ ليسَ بالبَساطةِ الَّتِى تَصوَّرَهَا ..



قَالَ لنفسِــهِ : « مِنَ الأفضَلِ اشتراكُ الوَزيرِ مَعِى فِى كَشْفِ سِرِّ حُلْمِ الأَميرةِ العجِيبِ ! » .

١٦

اقترحَ الوزيرُ :

« لابُدَّ مِنْ مُقابلةِ دادة ريحانة مرَّةً أُخْرى .. »

واسـتطَاعَ الأميرُ إقْناعَ ريحانــةَ أَنْ تأتِيَ إلى لِقاءٍ جَديدٍ ، يشـتركُ فيــهِ « الوزيــرُ الحَكيمُ زيــدان » المُتخفِّــى تَحْتَ اسْـمِ « الوكيل نجم الكاشف » .

سألَ الوزيرُ « ريحانة » :

« ذكَـرْتِ أن حديقَـةَ قصرِ الأحْلام كانَـتْ آخِرَ مـا رأتْــهُ « المَلِكةُ فخــرُ الزَّمانِ » قبـلَ رَحيلِها .. هـل أفهمُ أنهـا فارقَتِ الحياةَ فى ذلك القَصْرِ ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ وهى لا تستطيعُ أَنْ تفهمَ سببًا لإلْقاءِ ذلك السُّؤالِ :

« أظنُّ أنَّنِى أخبرْتُكُم بذلك ! .. أَمْ فَاتَ علىَّ أنْ أذْكرَهُ لسـيِّدِى بدر باسم ؟! » .

عادَ الوزيرُ يسألُها :

« لكِنَّنــى عرفْـتُ أَنَّ الملكةَ لَمْ تكُنْ تـذهَبُ إلى ذلـك القَصْرِ إلاَّ أثناءَ غيــابِ زَوْجِها المَلِكِ شـهاب الدين عَنْ مملكتِهِ .. هـل معنَى هَذَا أنَّها غادرَتِ الدُّنيا وزوجُهَا غائِبٌ عنها ؟ » .

بدأتْ ريحانة تشعرُ بالقَلقِ مِنْ تلكَ الأسئلةِ ، فأجابَتْ فِى ضِيقٍ :

« اضطرَّ سـيِّدى الملكُ أَنْ يتركَ مليكتَهُ أثناءَ مَرَضِهَا الأَخيرِ ، ليتولَّى بنفسِهِ قيادَةَ الجَيْش .. » .

عادَ الوزيرُ يسألُها :

« وهل كانَ يتركُ قيادَةَ الجَيْشِ فى بَعْضِ الأَحْيانِ لقائدِ جيوشِهِ ؟ » .

قالَتْ ريحانة فى احْتِدادٍ : « ما علاقَةُ كُلِّ هذا بحُلمِ الأميرةِ ؟!! » .

وَفِى هُدوءٍ قالَ الوزيرُ :

« إذَا كانَ فِى الإجَابَةِ سِرٌّ ، فَفِى إمكانِكِ أَنْ تُحافظِى عَلَيْهِ ! » .

قالَتْ ريحانة وقَدْ فرغَ صبرُهَا ، وَتُريدُ إنهاءَ الحديثِ :

« بَلْ هِىَ أُمورٌ يعرفُها كُلُّ أفرادِ الشَّعْبِ ، فقَدْ هَاجمَنَا أعداءٌ أَقْوِياءٌ ، وتَزايَدَ إحساسُ النَّاسِ بمَدَى الخَطرِ الَّذِى تتعرَّضُ لَهُ البلادُ ، فَلَمْ يَشَأْ مولاَى الملكُ تَرْكَ قيادةِ الجيشِ لِغَيْرِهِ » .

وفى هُدوءٍ وصَبْرٍ عادَ الوزيرُ يسألُهَا :

« لكنْ هناكَ أَشْيَاءُ لم يعرفْهَا إلاَّ أهلُ القصْرِ أنفسُهم ؟! » .

سألَتْهُ ريحانة – فى احْتِدادٍ – وقَدْ تزايَدَ ضيقُهَا : « مَاذَا تقصِدُ ؟! هَلْ تُرِيدُ أَنْ أكشفَ لكُمْ مزيدًا مِنْ أَسْرارِ سَادَتى ؟ » .

سألَ الوَزيرُ فى بُطْءٍ وهو يؤكِّدُ على كُلِّ كلمةٍ من كلماتِهِ :

« بالرَّغْـمِ مِنْ كُلِّ ذلكَ الخطَرِ الَّذِى أَحَاطَ بالبلاَدِ ، هَلْ طلبَتِ المَلِكةُ المَريضَةُ من زَوْجِها المَلِكِ أَنْ يبقَى إلى جوارِهَا ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ فى حَماسٍ كأنما تُدافعُ عَنْ ذِكْرى مَوْلاتِها :

« هى مُجرَّدُ جُملةٍ عابـرةٍ قالَتْها ذات ليلةٍ عندما اشتدَّتْ عليْهَا آلامُ المرضِ... » .



ثم توقَّفَت فجأةً عَنْ حديثِهَا وقالَتْ مُستدركَةً :

« لاَ أعتقدُ أنها قصدَتْ مَنْعَ مَولاىَ مِنْ أداءِ واجبهِ ! » .

ثُـمَّ تمهَّلَتْ وهـى تُضيفُ ببُطْءٍ ، وقد تذكَّرَتْ أشـياءَ حاولَتْ دائمًا نِسْيَانَهَا : « لكنَّ الأميرةَ حياةَ النُّفوسِ سألَتْنى بَعْدَها فى جزعٍ شَديدٍ : كيفَ هَانَ علَى والدى تَرْكُ والدتى تُنازِعُ المَوْتَ وهو غائِبٌ عنها ، بعدَ أَنْ طلبَتْ منه البقاءَ إلى جوارِها ؟!! » .

وأضافَتْ ريحانة : « لقد حاولْتُ كثيرًا أَنْ أشـرحَ للأميرةِ مُتطلّباتِ الواجبِ وَضُغُوطَهُ ... » .

ثُـمَّ أضافَتْ فِى أَسـى : « وَلاَ أعتقِدُ أَنَّهَا اقتنعَـتْ كثيرًا بما قُلْتُ ، لكنَّهَـا توقَّفَت فجـأةً عَنِ الحديثِ مَعِى حـولَ هذا المَوْضُوعِ ، وكَتَمَت خواطِرَهَا عَنْ كُلِّ المُحِيطِينَ بها .. ! » .

سألَها الوزيرُ : « كَمْ كانَ عُمرُها عندَما رحلَتْ والدتُهَا ؟ » .

قالَتْ ريحانةُ وقد عاودَتْها أحزانُ وفاةِ سيِّدَتِهَا المَلِكَةِ :

« كانَتْ فِى حوالى الخَامِسةَ عَشْرةَ مِنْ عُمْرِهَا ! » .

همسَ الوزيرُ لنفسِـهِ بغَيْرِ أَنْ يُصرِّحَ لأحدٍ بهواجسِهِ : « إنَّهَا السِّنُّ الَّتِى تطْغَى فِيهِ العواطِفُ عَلى تقديرِ المَسْئُولياتِ والواجِبَاتِ ! » .

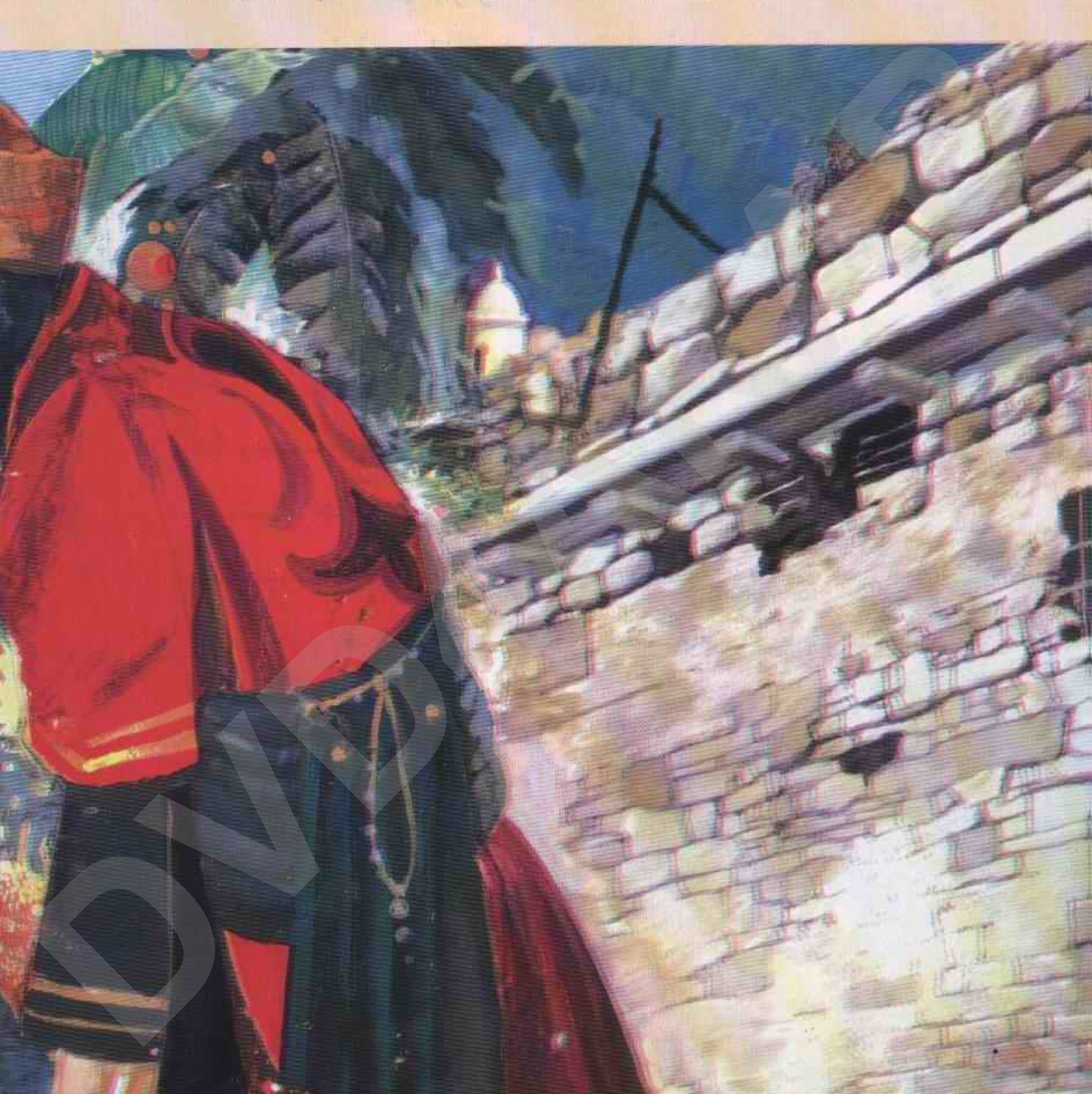


تزايَدَتْ دهشةُ شهرمان عندمَا وجَدَ وزيرَهُ زيدان يطلُبُ مِنْ ريحانة أَنْ تُدبِّرَ له زيارةً لقصْرِ الأَحْلامِ وحَدِيقتِهِ .

وعندمَا عَادَ الوزيرُ مِنَ الزيَارةِ ، سَمِعَ منه شهرمان كيفَ صدمَهُ ما اكتشفَهُ مِنْ تسلُّلِ الإهْمَالِ إلى القصْرِ وحَدِيقتهِ ..

قالَ الوزيرُ لأميرِهِ : « يُحيطُ بحدائِقِ ذلكَ القَصْرِ جدارٌ مُرتفعٌ ، هو أكثرُ الأجزاءِ تأثرًا بالرطُوبةِ والإهمَالِ .

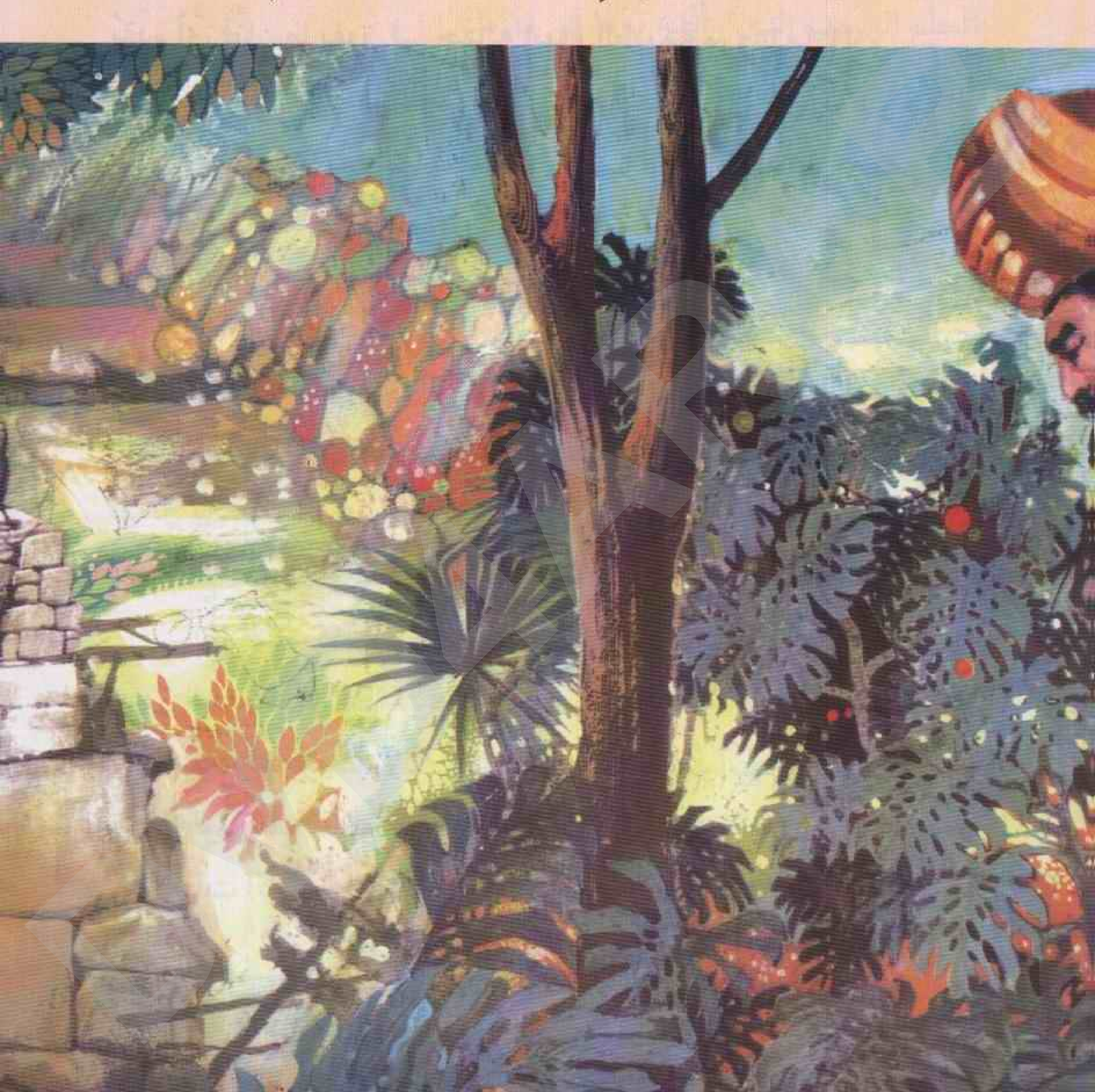
وقَدْ صادقْتُ المُشرفَ عَلَى القَصْرِ ، فعرفْتُ أنَّهُمْ لا يتذكَّرونَ القصرَ والحديقةَ إلاَّ قبلَ موْعِدِ زيَارةِ الأَميرةِ فِي ذِكْرى وفَاةِ والدتِهَا ،



لكِنَّنى اتَّفقْتُ معــه عَلى البَـدْءِ مُبكِّرًا هَـذا العَامَ فى الإعْـدادِ لتلكَ الزيارةِ » .

سـأَلَ الأمـيرُ وهو يُحاولُ اكْتِشـافَ الســرِّ وَراءَ تصرُّفـاتِ وزيرهِ ومُستشـارهِ : « هَلْ تقصـدُ أَنْ تُطيلَ الأمـيرةُ زيارتَهَا للقصْـرِ لَعَلَّهَا تَأْنسُ بهِ ؟ » .

قَـالَ الوزيرُ وعيناهُ تلتمِعَانِ بالحَيَويَّةِ والذَّكاءِ : «بَلْ لِى هَدفٌ أقْوَى



أثرًا مِنْ هــذَا .. إنَّنى أَبحثُ عَنْ أكبرِ فنَّانٍ مُصوِّرٍ ليُزيِّنَ بلَوْحاتِهِ الَّتِى يرسمُهَــا جُدرانَ سُـورِ الحَديقَةِ بعـدَ ترميمِهَا ، لِكَىْ يُبْـدِعَ فنُّهُ مَعَ نباتَــاتِ الحَدِيقةِ وزهُورِهَا ، تكاملاً يؤكِّدُ مَا يتناقلُهُ النَاسُ عَنْ جمالِ قَصْرِ الأحلامِ وَحَديقتِهِ » .

تَعجَّبَ شهرمان منْ طريقةِ الوَزيرِ فى التفكير ، فَهَمَسَ لنفسِهِ : « مَا علاقةُ تَرْميم سُـورِ القَصرِ ، بالفنَّانِ الرسَّامِ ؟! .. هل يُمْكِنُ أَنْ يُقدِّمَ أىُّ فنَّانٍ مَا يفوقُ فِى جمالِهِ إبداعَ الطبيعةِ وروعتَها ؟! » .

لكنَّـــهُ رأى أَنْ يـتركَ الوزيرَ يُنفِّذُ خُطَّتَـــهُ ، إلى أَنْ يتوصَّلَ هو إلى شَــىْءٍ يَستطيــعُ بــه مُواجَهةَ تلكَ الأسـرارِ العَجيبةِ الَّتِى سَمِعَها مِنَ ريحانة وَصيفَةِ حياةِ النُّفوسِ .

١٨

فِى يَــوْمِ ذِكْرى وَفاةِ والِدَةِ الأمـيرةِ ، وهُوَ يَوْمُ الزيارةِ السَّنويَّـةِ الَّتِـــى اعتَادَتْ أَنْ تقومَ بِهَا الأَميرةُ لقَصْــرِ الأَحْلام ، فوجئَتْ قبلَ أَنْ تدخُلَ بالحَوائِطِ الخارجيَّةِ لِلسُّــورِ الَّذِى يُحيطُ بحَدائِقِ القَصْرِ وقَدْ تمَّ تجدِيدُهَا عَلَى نَحْوٍ كامِلٍ .

ســألَتِ الأميرةُ مُربِّيَتَها فى دهشَــةٍ : « لأولِ مَــرَّةٍ أجِدُهم يَهتمُّونَ بسُورِ الحَدِيقةِ كُلَّ هَذَا الاهتمَامِ ! » .

قالَتِ المُربيةُ ريحانةُ : « فِى هَذَا العام لاحظْتُ أنَّهُم يسـتعِدُّونَ منذُ شُهور لزيارتِكِ السنويَّةِ هَذِهِ يا مولاتى » .

ودخلَتِ الأميرةُ الحَديقةَ ...

كانَتْ تعتزمُ التوجُّهَ مُباشَرَةً لدُخولِ مَبْنَى القَصْرِ ، عندمَا اسْتوقفَهَا شَيْءٌ ، فصاحت : « انْظُرِى يا ريحانة !.. ما أجملَ هذِه الرسومَ التِى أراهَا عَلَى حوائِطِ السور » .

وتظاهـرَتْ ريحانة أنهَـا فوجِئَتْ مِثْـلَ سـيِّدَتِها ، فَصَاحَتْ هى الأخْرَى :

« بـل هى لَوْحاتٌ تُثـيرُ العَجَبَ أيضًا يا مولاتى ! .. تُذكِّرُنى بذلك الحُلْم الغَريبِ الذى رأيْتِه يَوْمًا فى منامِكِ ! ! » .

ونَسِـيَتِ الأميـرةُ اعتزامَهـا التوجُّهَ إلى مَبْنَـى القَصْرِ ، ووقفتْ تتأمَّلُ فِى دهشـةٍ اللَّوْحـاتِ فائقـةَ التعبيرِ الَّتِى كانَتْ تتوالَى واحدةً بجوارِ الأخْرَى علَى جِدارِ السُّورِ...

قالَتِ الأميرةُ وقد ازدادَتْ دهشتُها : « تأمَّلِى مَعِى يا ريحانة .. هَذَا صيَّادٌ ينصبُ شبكتَـهُ لتكونَ فخًّا للطُّيورِ ! ! » .

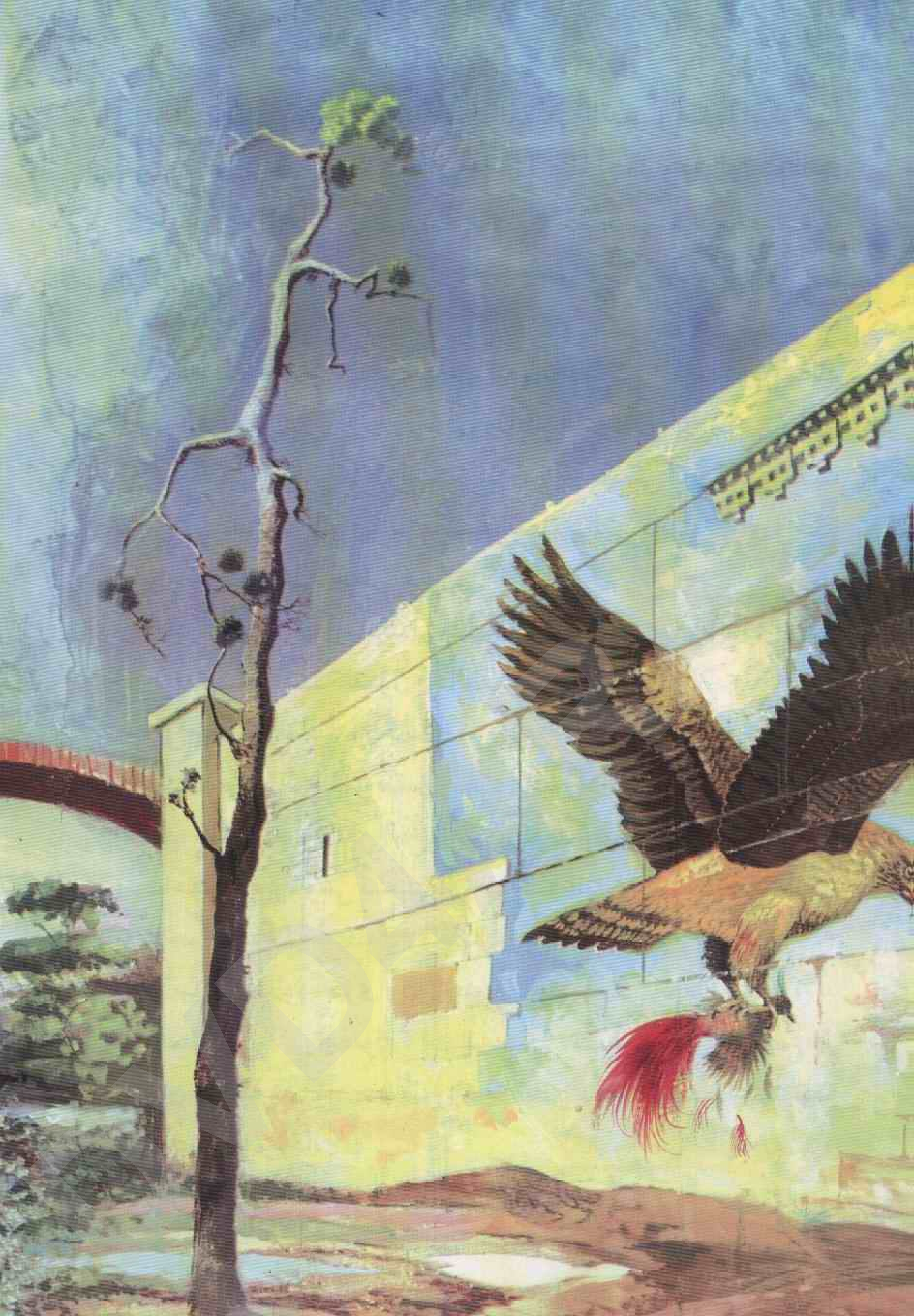
وفى حماسٍ أضافَتْ ريحانة :

« وهذا هُوَ الطائرُ الذكرُ بنَفْس ريشَتِهِ الخضْراءِ اللاَّمعةِ فَوْقَ رأسِهِ وذيلِهِ الأحْمرِ الطَّويلِ قَدْ وقعَ فِى الفخِّ ، بينَمَا طارَتْ بقِيَّةُ الطُّيورِ خائفةً ! ! » .

صاحَتِ الأميرةُ وهى تُشـيِر إلى اللَّوحَـةِ الثَّالثةِ : « وها هِىَ الأنْثَى تنقُرُ حِبالَ الشَّبكةِ لتُخلِّصَ زَوْجَها بينمَا الصيَّادُ نائمٌ ! » .

ثمَّ سارَتْ خُطوةً أُخْرى وهى تصيحُ بالوَصيفَةِ فى انْفعالٍ بالغ :

« هذا شَـيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ ! ! .. إنَّهُ حُلْمِى قَدْ نقلَتْهُ يدُ رسَّام مُبدِعٍ إلى جُدرانِ حَدِيقةِ قَصْرِنَا ... تأمَّلِى الصيَّادَ قَدِ استيقظَ وعَادَ ينصَبُ شبَكَتَهُ مرَّةً أُخْرَى يا ريحانة ! » .





ثمّ أكملتْ فى حُزنٍ وكآبةٍ :

« وها هِىَ الأنْثَى تقعُ فى الفَخِّ ، والذَّكرُ يَطيرُ مُبتعِدًا عنها مع بقِيَّةِ الطُّيور ، وينساها ! » .

هتفَـتْ ريحانة فى أَسَـى : « لَيْتَهُ النسيانُ يا مولاتـى ! ... هنا يا سَيِّدتى شَىْءٌ غابَ عَنْ عينَيْكِ ! ! » .

وأمامَ اللوحَةِ الأخيرةِ ، وقفَتِ الأميرةُ صَامتةً مَذهولَةً وقَدْ أصابَتْها الحيرةُ بصَدمَةٍ بالغةٍ .. كانَ هناك نسـْرٌ جارحٌ قَدِ انقضَّ على سِـرْب الطُّيورِ الهاربةِ ، وأمسَـكَ الذَّكرَ الفَخـورَ بيْنَ مَخَالبِهِ ، وراحَ يُمزِّقُهُ بمنقارِهِ الحادِّ ! !...

واخْتنَقَ صَوْتُ ريحانةِ بالدُّموعِ وهى تقولُ مِنْ بَيْنِ تنهُّداتِهَا :

« يا لَلْمِسـكينِ ! .. قتلَهُ المُعتدِى فمنعَـهُ إلى الأبدِ مِنَ العَوْدَةِ لإنقاذِ أُنثاه ، فذبحَهَا الصيَّادُ ! » .

تحَشْرَجَ صَوْتُ الأميرةِ باللَّوْعَةِ والأسَى :

«هَذه نِهايَةٌ غابَتْ عَنْ حُلْمِى .. » .

قالَتِ الوصيفةُ مُواسِـيَةً : « أفزعَكِ منظرُ الصيَّادِ وهو يقتلُ الأنثى ، فاسْتيقظْتِ وقَدْ أصابَكِ الرُّعْبُ قبلَ أَنْ يكتملَ حُلْمُكِ ! ! » .

ثُمَّ أضافَتْ كأنَّما هو خاطِرٌ جاءَها فى تلك اللَّحظَةِ :

« أو لعلَّ الفنَّانَ الرَّسَّـامَ قَدْ حلـَمَ نَفْسَ الحُلمِ ، ولَمْ يفزعْ كمَا فزِعْتِ يا مولاتى ، فرأى الحُـلْمَ حَتَّى نهايتِهِ ... » .

ثم تمهَّلَتْ قبلَ أَنْ تَقولَ فِى تأكيدٍ :

« لقد وصلَتْهُ الرسالةُ كاملةً يا سيِّدتى ! ! » .

كانَ المرحُ يسودُ هذه المرَّةَ الاجتمَاعَ الَّذِى تَمَّ عَقْدُه فى غرفَةِ الصَّفقاتِ بمَتْجَرِ شهرمان .

جلسَ « الأمير التاجر » يَسْتمِعُ فى شَغَفٍ هو « والوزيرُ الحكيمُ زيدان » إلى دادة ريحانـــة ، تنقلُ إليهمَا كيفَ وقفَتِ الأميرةُ « حياةُ النُّفوس » لا تتحــرَّكُ أمامَ آخر لوحةٍ علَى حائِطِ البُسْــتانِ ، وَقَدِ اسْــتغرقَتْ فى تَفْكير عميقٍ والدُّموعُ تترقْرقُ فــى عينَيْها ، وَهِىَ تتأمَّلُ ذلكَ النسـرَ المُتوحِّــش يُمــزِّقُ قائدَ الطُّيورِ بعدَ أَنْ نزعَ تاجَـــهُ الأخضرَ ولوَّثَ ذَيْلَهُ الأحمرَ الزَّاهِىَ بدِمائِهِ الداكنةِ .

قالَ الوزيرُ الحكيمُ :

« ليســتْ هَذِه إلاَّ الخطوةَ الأُولى ، فمعَ ثِقَتِى أنَهَا اقتنعَتْ بعَقْلِهَا كيــفَ تَجنَّتْ كثيرًا علــى الرِّجالِ فى فَهْم مَعْنَــى حُلْمِهَا ، فليسَ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تتغيَّرَ مَشاعرُها نَحْوَهم بنفْسِ السُّرْعةِ » .

صَاحَ الأميرُ فِى انْدِفاع :

« يكْفِى أنَّهَا أدْركَتْ أخيرًا عدمَ ســلامَةِ تفســيرهَا فانفتحَ السَّبيلُ أَمَامِى لأتقدَّمَ لِخِطبتِهَا ... لكنْ كيفَ أنقلُ إليها نَبْضَ مشاعِرِى وَحقيقةَ شَخْصِيَّتِى ؟! » ..

ضحكَتْ ريحانةُ فى مُحاولَةٍ لتهدِئَةِ انْفِعالِ الأميرِ :

« هى الآن تعرفُ شــيئًا عَنْ مشاعِركَ ، فقد أصبحَتِ الأميرةُ لا تملُّ مِنَ الاسْتِماعِ إلى حَدِيثى معَها عَنْ تقديرِى للشابِّ الوَسيمِ « بدر باسم » الذى لا يكُفُّ عن إبْداءِ الإعْجابِ بها ! » .

ظهرت ابتسامةٌ على وجهِ الأمير بينمَا أضافَ الوزيرُ : « أمّا عن حقيقةِ شخصيَّتِكَ ، فقد اضطررْتُ أنْ أكشفَ عنهَا لدادة ريحانة لِكَىْ تُساعِدَنا علَى وَجْهٍ أفْضَلَ ! .. فَهَلْ تُفَضِّلُ يا مولاَىَ أنْ يتقدَّمَ الآنَ لخِطبةِ الأميرةِ « التاجرُ بدر باسم « أم » الأمير شهرمان ؟! » .

ثُمَّ قالَ فِى لهجَةٍ جَادَّةٍ : « لكنْ تَذَكَّرْ يا مولاى أنَّ ولِىَّ عَهْدِ مملكةِ شيراز لا يأتى لِخطبَةِ أميرةٍ إلاَّ فى مَوْكِبٍ يليقُ به ، بعدَ أنْ تكونَ البلدُ قَدِ استعدَّتْ كُلُّها لاسْتقبالِهِ ! » .

ووجدَتْ ريحانة ضَرورة أنْ تتدخَّلَ فى الحديثِ ، فقالَتْ : « لَمْ يسبقْ أنْ تَقدَّمَ لِخِطبةِ « مولاتى حياةِ النُّفوسِ » إلاَّ أُمراء ، وهى تتصوَّرُ دائمًا أنَّهُمْ يَطْمَعونَ فى ضَمِّ مملكتِنا إلى مَمَالِكِهم ... لماذا لا نُجرِّبُ أنْ يتقدَّمَ إليْهَا هَذهِ المرَّةَ « تاجرُ الحرير بدر باسم » وليس « الأمير شهرمان » ؟ » .

هَنَّأ الوزيرُ ريحانة على صَوابِ تَقْديرِهَا للأُمور ، فأضافَ الأميرُ شهرمان : « عَلَيْنا إذَنْ تدبيرُ لقاءٍ يتعرَّفُ فيه أحدُنا عَلى الآخرِ ، بغَيْرِ أنْ تشعرَ الأميرةُ أنَّنا نقصدُ تحقيقَ غرضٍ مُعيَّنٍ » .



قالَ الوزيرُ زيدان وهو يقصدُ أنْ يُوحِىَ لريحانة بنَوْعِ اللقاءِ : « ولعلَّكِ لا تَعْرفين يا ريحانةُ أنَّ الأميرَ شهرمان بَطَلٌ مِنْ أبْطَالِ الفروسيةِ ، وأعظَمُ الأبطَالِ فى المُبارزةِ ومهاراتِ ألعابِ الخَيْلِ ... ! ».

تَعاونَــتْ « دادة ريحانــة » مَـعَ « الوزيرِ سـهمان » وزير مملكةِ بابل ، فى الإيحاءِ للأميرةِ « حياة النفوس » بخطَّتِهما .

قالَتْ دادة ريحانةُ للأميرةِ : « مِنَ المُهِمِّ تَغييرُ الصُّورَةِ الَّتِى ارتسمَتْ أمامَ الناسِ بشأنِ موقفِكِ من الرِّجالِ » .

وفـى لهجةٍ أبَويَّــةٍ حانِيَةٍ ، قـالَ الوزيرُ الَّذى طلبَـتْ منه « دادة ريحانة » أَنْ يعملَ معهَا لبناءِ جُسورٍ جَديدَةٍ مِنَ الثقةِ بينَ ولِيَّةِ العهد ورجَالِ شـعبهَا : « الحاكمُ يجبُ أَنْ يكـونَ متوازنًـا فـى تعامُلِهِ معَ الرجالِ والنساءِ فى مملكتِهِ .. كيف نرفضُ وَضْعَ الثقةِ فى الرجَالِ وهُمْ نِصْفُ المُجتمَعِ يا مولاتى ؟! » .

قالَـتِ الأميـرةُ فى حيرَةٍ : « وَمِـنْ أيْنَ أبدأُ بعد أَنْ بدأْتُ أَقْنعُ نَفْسى أَنَّ تصرُّفاتِ الرجَالِ قَدْ تكونُ لَهَا أسـبابٌ غَيْرُ التى تظهرُ أحيانًا أمامَ أبصَارِنَا ؟ » .

قالَ الوزيرُ : « نُعلِنُ مثـلاً أنكِ ستشاركينَ والدَكِ ، لأولِ مرَّةٍ ، فـى مُشاهدَةِ مباراةٍ بينَ شبابِ الفُرْسانِ ! ... » .

ونطـقَ كلمةَ « شـباب » فى بُـطْءٍ ليُؤكِّدَ عليهَا فى ذاكـرةِ الأميرةِ وعواطِفِها !

أمَّـا دادة ريحانة فقـدْ كانَتْ تأملُ أَنْ تتعـرَّفَ مولاتهَا خِلالَ تِلْكَ المُبارياتِ علَى « بدر باسم » زهرةِ الشبابِ .

□□□

لَـمْ يوافقِ الملكُ على إقامَـةِ احتفالِ المبارياتِ إلاَّ بشـرطٍ أَنْ تكونَ المُسابقاتُ تمهيدًا لتختارَ الأميرةُ زَوْجًا لَهَا مِنْ بَيْنِ شَبابِ الفائزينَ ! .

قالتِ الأميرةُ فى احْتِجاج :

« كيفَ نطمئِـنُّ كلَّ الاطْمِئنانِ إلى فائـزٍ فـى مبارياتٍ ؟! .. هـل مُجـرَّدُ الفَوْزِ يجعلُهُ زوجًا أرتاحُ إليه أو أَجدُ السعادةَ معه ؟! كيف نثقُ أنه سيكونُ أفضلَ مَنْ يُشاركُنى الحكْمَ ذاتَ يَوْمٍ ؟ » .

رفَضَ المَلِكُ أَنْ يتزحْزحَ عَنْ رأيِـهِ ، وراحَ يؤكِّدُهُ فى إصْرارٍ : « أنَا مُتمسِّكٌ بهَذا الشَّرْطِ ، فَلَنْ أقبلَ بَعْدَ اليَوْمِ أَنْ تتلاعَبى بأَحْلامِ الشبابِ ! » .

تحايلَتِ الأميرةُ وقدْ رأتْ مِقْدارَ تمسُّكِ والدِهَا بشرطِهِ : « إذَنْ نجعلَ هَذا الشَّرْطَ سرًّا بينكَ وَبيْنِى يا وَالِدِى ، لِكَىْ لا نتورَّطَ فى الموافقةِ عَلَى زوجٍ قَدْ تكونُ أنتَ أوَّلَ مَنْ ترفضُهُ ! » .



وسكتَ الملكُ لحظةً يُفكِّرُ فى حُجَّةِ ابنتِهِ ، لكنَّه لَمْ يوافِقْ إلاَّ عندَما أضافَتْ : « ولتشجيعِ شبابِ الفُرْسانِ عَلى المُشاركَةِ فى هَذِهِ المُبارياتِ ، نُعلِنُ أنّنى سأقومُ بنفْسِى ، ولأوَّلِ مرَّةٍ ، بتسليمِ الفائزينَ ما تمنحُهُ جلالتُكَ لهم مِنْ جوائزَ ونياشينَ » .

جَلسَتِ « الأميرةُ حياةُ النُّفوسِ » بجوَارِ والدِهَا « المَلِكِ شهَاب الدين » عَلى مقعدَيْنِ مُتجاورَيْنِ ، فوقَ منصَّةٍ عاليَةٍ تُشرفُ على الميدانِ الرئيسِيِّ المُتَّسِعِ أمَامَ القصْرِ الملكِيِّ ، حيثُ ستُقامُ أكبرُ مباريَاتٍ للفروسيَّةِ تشهدُهَا مملكةُ بابلَ .

وبدأَتِ المُباريَاتُ ، فلاَحظَتِ الأميرةُ مِنْ بَيْنِ المُتسابقِينَ فارسًا يُخفِى وجهَهُ وراءَ قِناعٍ ، فلمَّا سألَتْ عنه قَالَ لها الوزيرُ سهمان :

« إنَّه مُتسابقٌ رَفضَ أنْ يُعلِنَ عَنْ شخصِيَّتِهِ وهو يقولَ : اجْعَلُوا مَهاراتِى تُعلِنُ عنّى ! ! » .

وكانَتْ مُفاجأةُ الحفلِ أنَّهُ بدأَ بمباراةٍ شديدَةِ الخُطورةِ فى ترْويضِ فَرسٍ جامِحَةٍ شَديدةِ العُنفِ ، تشُبُّ عَلى ساقَيْها الخلفيتيْنِ كُلَّمَا اقتربَ منهَا فارسٌ ، وتضرِبُ الأرضَ بحوافرِهَا - كأنَّما تدكُّها دَكًّا - كُلَّما حاولَ مُتسابقٌ أنْ يلمسَهَا .. ! .

وأَخِيرًا تَقدَّمَ ذلكَ الفارِسُ صاحبُ القِناعِ ، وتَحايَلَ حَتَّى جعلَ أشِعَّةَ الشَّمسِ فِى مواجَهةِ عينَى الفرَسِ ، فأصبحَ ظِلُّها خَلْفَها ... وسرعانَ مَا اسْتطاعَ أنْ يعتلِىَ ظَهْرَهَا ... لقدْ أدركَ أن الفرسَ تخافُ مِنْ ظِلِّها كُلَّمَا تحرَّكَتْ ، فجعلَهُ خلفَها لكى لا تَراهُ .

وارتفعَ هُتافُ النَّاسِ وَتصفيقُهم ، ليسَ فقطْ لشجَاعتِهِ ، بَلْ لذكَائِهِ وَحِكمتِهِ ..

همسَتِ الأميرةُ لنفسِها :

« هَا هُوَ فارسٌ يَجْمَعُ بينَ الحكْمةِ والشَّجَاعةِ » .





والغريبُ أنَّ ذلكَ الفارسَ نفسَهُ هُوَ الذى فازَ بسُهولةٍ فى مُختلفِ مُسابقاتِ المُبارَزةِ ! .

وعندمَا جاءَ دَوْرُ ألعابِ الخَيْلِ ، وقفَ ذلكَ الفارسُ عَلى ظَهْرِ حصانِهِ يَجْرى به حَوْلَ السَّاحَةِ بغَيْرِ أَنْ يسقطَ أَوْ يفقدَ توازُنَهُ ، ثُمَّ تَعَلَّقَ بالسَّرجِ والجماهيرُ يتعالَى تصفيقُهَا إعْجَابًا بجَسَارتِهِ ومهَاراتِهِ ، والهتافُ يتكرَّرُ مُدوِّيًا :

« يعيشُ الفارسُ المُقنَّع » .. « الجائزةُ لصاحِبِ القِناعِ ! »

وكانَ مِنَ الطبيعِىِّ أَنْ تُعلِنَ لجنةُ الحُكَّام فَوْزَ ذلكَ الفارِسِ ، ثُمَّ تطلبَ منه أَنْ يتقدَّمَ إلى مَلِكِ البلادِ ليُعلِنَ عَنْ شَخصيَّتِهِ ، ويتسلَّمَ مِنَ الأميرةِ أرْفَعَ الأوْسمةِ والجوائزِ .

وَفِى ثقةٍ تقدَّمَ الفارسُ صاحبُ القِناعِ نَحْوَ عرشِ المَلِكِ ووَلِيَّةِ عهدِهِ ، وَانْحنَى فى رشَاقةٍ وهو يقولُ :

« أقدِّمُ انتصَارَاتى إلى مولاَتى الأميرةِ ولِيَّةِ العَهدِ ، لعلَّها تقبلُنى فارسًا لها ! » .

قالَ الملكُ فى إعجابٍ وسعادةٍ : « دَعْنا أولاً نتعرَّفُ عليْكَ ، لأنَّكَ جمعتَ اليَوْمَ بينَ الحكْمةِ والشَّجاعةِ ! » .

هُنَا تَحرَّكَ الفارسُ إلى يَسَارِ المنصَّةِ ، فأصبحَ يُواجِهُ الجماهِيرَ المُحْتشِدةَ الَّتِى تهتفُ له ، وفى الوقْتِ نفسِهِ يستطيعُ رؤيةَ المَلِكِ والأميرةِ ... ثم رفعَ يَدَيْهِ ونزعَ القِناعَ ببُطْءٍ عَنْ وجهِهِ ..

وارتفعَتْ فِى السَّاحةِ صَيحاتُ دهشَةٍ عاليةٌ :

« تاجرُ شيراز « .. « بدر باسم !! .. » .

وأصَـابَ القلـقُ المَلِكَ عندما سَمِعَ كلمة « تاجر » ، بينما ابتسَمَتِ الأميرةُ راضيةً ، فقد عرفَتْ كثيرًا مِنْ مُربيتها عن « التاجر بدر باسم » وعَنْ نُبْلِ أخلاقِهِ وحكْمَةِ تصرُّفاتِهِ واتّساعِ أُفُقِهِ وثقافتِهِ .

أمَّا الملكُ ، فإنه فِى قَلَقٍ وبغَيْرِ حَماسٍ سَأَلَ الشابَّ الَّذِى يقفُ أمامَهُ :

« هَلْ أنتَ فارسٌ أم تاجِرٌ ؟!! » .

وقاطَعَ هُتافُ الجماهيرِ سُؤَالَ المَلِكِ : « يعيشُ الفارسُ بدر باسم ».

وفِـى هُدوءٍ قالَ الأميرُ للملِـكِ : « لقـد عرفَنى أهلُ بلدِكُم علَى أنَّنِى « التاجِـرُ بدر باسـم » ، وَأَسـتأذنكُم أَنْ تعرِفُوا الآنَ يا مَـوْلاىَ أنَّنِى « الأميرُ شهرمان » ولِىُّ عهدِ مملكةِ شيراز » .

واختلطَ الأمرُ على الملِكِ ، فمالَتِ ابنتُهُ الأميرةُ عَلى أُذنِهِ هامسَةً :

« إنه أميرٌ جاءَ مُتخفِّيًا كتاجِرٍ ... »

وازدادَ الأمرُ غُمُوضًا عَلى الملِكِ ، فهمَسَ لابنتِهِ فى ضيقٍ :

« ولماذَا لَمْ يأتِ كأميرٍ وولِىٍّ للعهدِ ؟! كُـنَّا سنُكرِمُهُ أَفْضَلَ إكرامٍ !» .

وزادَ ابتسـامُ الأميرةِ وهى تتأمَّلُ وسَـامةَ الأمير وشبابَهُ ، فتهمِسُ لنفسِهَا :

« كيـفَ أَجْعَـلُ والدِى يفهَـمُ حِيَلَ الشـبابِ لِلوُصـولِ إلى تحقيقِ أَحْلامِهم ؟! » .

ولِكَـىْ تُجيـبَ عـنْ تساؤلِهَا ، رأتهَا الجماهيرُ تهـبُّ واقفةً فى حَماسٍ ، ثُمَّ انطلقَتْ تصفِّقُ فِى حرارةٍ وتهتفُ بالنَّاسِ :

« .. يعيشُ الفارسُ الأميرُ شهرمان ولِىُّ عهد شيراز » .

لقد قــرَّرَتْ وهى تهتفُ ، أَنْ تضَعَ نهايةً حاسِمَةً ســعيدةً لإخضاعِ حياتِهَا لتفسيراتِ الأحلامِ الخادعَةِ !! .

وسكتَتِ الجماهيرُ لحظةً لتستوعبَ معنَى كلامِ الأميرةِ ...

ثُــمَّ انفجــرَ التصفيقُ والهتافُ مــرَّةً ثانيةً ، بينما المَلِــكُ يردِّدُ فى حيرةٍ : « أنا لا أفهمُ كلَّ هَذَا الذِى يحدثُ أمَامِى ؟! » .

وانطلقَتِ الأمـيرةُ تضحكُ فِى مَرَحٍ وَهِىَ تتبادَلُ مَعَ الأميرِ شهرمان نَظَراتٍ تحمِلُ كثيرًا من المَعَانى ...

ثُمَّ طوَّقَتْ كَتِفَىْ والدِهَا وَهِىَ تهمِسُ له فِى فرحٍ :

« أمَّا أنَا .. فَقَدْ فهمْتُ كُلَّ شَىْءٍ بوضُوحٍ يَا وَالدِى !! » .

« تمت »



